روايات غادة

جينا جوليانو

الوعد المكتوب

www.elromancia.com

مرمورية
بيروت - لبنان

غـــادة

الوعد المكتوب

من السهل اتخاذ القرارات حين يكون الإنسان سيد نفسه، يقدم على ما يريده ويمتنع عما لا يرغب به. لكن هذه لم تكن حالة نارسيسكا فلوتشيانو التي أصبحت وريثة لتركة هائلة تقدر بالملايين وهي بعد لم تبلغ العشرين من العمر، وبالتالي فإن الوصي عليها ابن عمها المركيز كارلو فلوتشيانو هو من يقرر مصيرها ويخطط لها مستقبلها لحين بلوغها الواحدة والعشرين. ولهذا فقد اتفقت الوريثة مع صديقتها الفقيرة والجميلة لوتشيانا دولمو ان تقوم هذه الأخيرة بتقمص شخصية نارسيسكا لحين تتمكن نارسيسكا من الزواج من حبيبها.

هكذا كان الاتفاق، لكن ما لم تعلماه الفتاتان ان المركيز كان رجلاً جذاباً وشاباً وأن وجود لوتشيانا بقربه سيكون كوضع الزيت بجانب النار.

فماذا سيحدث حين يمتلك المركيز قلب لوتشيانا وحين يكون الكذب بالنسبة اليه أفظع المنكرات؟؟!!...

- ١ -

«هيا أيها الأطفال لنجلس سوياً ونركب لعبة المربعات» قالت لوتشيانا كابرو لمجموعة الأطفال في روضة الوردة البيضاء.

تجاوب معها عدد منهم والآخرون أخذوا يصرخون ويبكون مطالبين بأمهاتهم.

«يا الهي كيف السبيل لإسكات كل هذه الأصوات؟» انتحبت لوتشيانا بصمت وسارعت لوضع الموسيقى حتى تطغى على صوت البكاء وأخذت ترقص وتتمايل وهي تمسك بأيدي الأطفال الذين شكلوا دائرة، لحظات وانخرط الجميع بهذه الرقصة وحمدت لوتشيانا الله لأن المديرة دخلت على حين غرة الى صفها لتراقب عمل المعلمة الجديدة والتي لم يمض على عملها في هذه المدرسة

سوى اسبوع واحد.

انقضى أخيراً يوم الإرهاق الطويل وعادت لوتشيانا كابرو الى منزلها المتواضع جداً بطرف القرية والذي تحيا به مع والدتها المريضة. أزالت عن كاهلها كل التعب والألم ورسمت ابتسامة مشعة على محياها قبل ان تدخل غرفة والدتها.

كانت السيدة كابرو مستلقية بسلام على سريرها وعيونها مغمضة ويداها المعروقتين حول صدرها. منظرها هذا كان يثير الرعب بقلب الفتاة وكانت كل يوم تعود الى المنزل وخوف هائل يسكنها مخافة ان تعود لتجد والدتها قد رحلت الى العالم الآخر.

أمسكت بلهفة يد والدتها وقبلت وجنتها وارتاحت أساريرها حين فتحت والدتها عينيها وابتسمت لها بضعف.

«كيف حالك اليوم أمي؟» سألت لوتشيانا بحب.

«بخير يا حبيبتي» تمتمت الوالدة بوهن:

«يعز علي ان أدعك تعملين وترهقي نفسك فيما أنا راقدة هنا بدون حركة لو...».

«لا تقولي هذا أمي أرجوك» سارعت لوتشيانا مقاطعة اياها بسرعة:

«لقد تحملت هموم تربيتي مذ كنت في الخامسة بعد وفاة والدي، أي منذ خمسة عشر سنة وآن لي ان أهتم أنا بك بدوري».

«لكن يا ابنتي الفتيات بمثل سنك عليهن تعلم الخياطة وشغل الصنارة والأعمال البيتية حتى يكن مهيئات تماماً لمن سيطرق بابهن من العرسان الشباب».

«لا تقولي هذا أمي» قاطعتها لوتشيانا مجدداً:

«أنا لا أفكر بالزواج مطلقاً الآن وأهم شيء عندي ان تتعافين وتعودين لحالتك الطبيعية... فأنت كل ما تبقى لي في هذه الدنيا وأريدك ان تكوني بأحسن حال».

عانقتها والدتها بحب وقالت:

«وأنت هو كل ما أملك في هذه الدنيا وأريد لك أفضل وأحسن مستقبل لأنك فتاة طيبة ورائعة».

«كما يقول المثل» قهقهت لوتشيانا بمرح وتابعت بعد ان نهضت:

«سأذهب لتحضير طعام الغداء وسنتناوله سوياً هنا اذا أردت».

هزت والدتها رأسها موافقة وقالت بأسف:

«أشعر اليوم بالتعب الشديد وكأنني كنت أفلح الأرض طوال النهار».

«سلامتك أمي، لا تتحركي سيجهز كل شيء بخلال نصف ساعة» قالت لوتشيانا وغادرت الى المطبخ.

فيما هي تحضر البطاطس واللحم سرحت لوتشيانا بأفكارها الى الماضي. حياتها ووالدتها كانت دوماً تتأرجح بين الفقر والاعتدال فقد وعت على الدنيا لتجد ان والدها قد توفي حين طاف النهر وكان هو يحاول انقاذ ما يمكن انقاذه من المحصول. وكانت النتيجة ان خسر حياته وخسر محصوله بين أمواج النهر الطاغية. واستلمت والدتها تأمين المعيشة لهما منذ ذلك الحين وكانت تعمل بالحصاد أحياناً ببيع أشغالها اليدوية أحياناً وببيع الجبن واللبن أحياناً أخرى.

قرية ماغرولايا حيث كانوا يقطنون كانت مثالاً للقرى اليونانية النائية والتي تسير بها الحياة على وتيرة واحدة.

www.elromancia.com

أعمال بالزراعة والحصاد مع ما يتبع ذلك من أنشطة فلاحية برائية. كل شيء هنا كان محدداً حياة الشاب محددة يكبر ليساعد والده ومن ثم ينتقي لنفسه عروساً من أقربائه أو جيرانه ليكون معها أسرة جديدة تحيا بنفس طريقة أسرة الشاب والفتاة. والفتاة تكبر لتتعلم التدبير المنزلي وأشغال الإبرة والصنارة وتجمع جهازها لحين يطرق بابها العريس. لكن كان للقرية رغم الروتين جمالاتها وتسلياتها فأيام الأعياد والاحتفالات كان الجميع يزين ساحة القرية بالأشرطة والأزهار ويجتمع كل أهالي القرية يرقصون ويضحكون ويشربون العصير والنبيذ ويثرثرون حول كل شيء.

وهكذا تمضي الحياة هنا بهدوء وسكينة وبعد ان أصيبت والدتها بمرض السكري ساءت حالتها ولم يعد بإمكانها متابعة عملها ولهذا فقد توسلت لوتشيانا مديرة المدرسة الوحيدة الموجودة في القرية حتى تدرس عندها واستجابت المديرة لتوسلاتها وهذا ما كان. وقد مضى عليها أسبوع كامل بالعمل ورغم مشقته وصعوبته الا انها تشكر الله على تمكنها من العمل الذي سيؤمن لها ولوالدتها المأكل والمشرب والدواء.

لوتشيانا بجمالها الغريب الساحر بتمازج عيونها الزرقاء الداكنة مع الرموش السوداء الكثيفة والبشرة البيضاء الوردية والأنف الصغير والفم الدقيق بشفاهه الممتلئة المغرية بالاضافة الى شعرها الأسود الداكن الطويل الذي كان ينسدل حتى منتصف ظهرها وقامتها الميساء الطويلة والمتناسقة كانت محط أنظار العديد من شباب القرية وحسانها. الا ان لوتشيانا كانت تعطي الجميع الانطباع انها

متكبرة ولا تريد التحدث مع أحد منهم. لقد استعانت بهذا الجدار لتخفي خلفه خجلها وبراءتها ورغبتها بالاعتناء بأمها طالما هي على قيد الحياة. ولهذا فلم يحرك أي شاب ممن حولها أوتار قلبها وتسلحت هي بالبرود والتباعد لتبعد أي محاولة تقرب لأحدهم منها.

لحظات سعادة لوتشيانا الوحيدة كانت حين تجتمع بأعز وأحب صديقة اليها نارسيسكا فلوتشيانو حفيدة الكونتيسة فلورينا فلوتشيانو والتي كانت تقطن في قصر القلعة على طرف القرية الغربي. القصر كان كالقلعة فعلاً بحجاره الضخمة وتصميمه اليوناني القديم وكانت الحدائق الغناء الواسعة تحيط به من كل جانب وتبعده عن عيون الفضوليين والغرباء.

رغم عراقة وثراء آل فلوتشيانو الا ان الكونتيسة باركت الصداقة العميقة التي نمت بين نارسيسكا ولوتشيانا ابنة العائلة المتواضعة.

ففي البداية لم يكن هناك العديد من الأطفال الذين هم بمثل سن نارسيسكا والطفلة كانت بحاجة للرفقة ولوتشيانا كانت أقرب الأطفال اليها ورغم فقر حالة عائلتها الا ان والدها كان معروفاً بين الجميع بأمانته وصدقه ورقة طباعه. وهكذا كانت تقضي لوتشيانا معظم أوقات النهار مع صديقتها نارسيسكا تلعبان وتلهوان في حدائق القصر الغناء. الكونتيسة كانت قد تشاجرت مع ابنها والد نارسيسكا والعائلة بأكملها بسبب الميراث ولأنه والدة نارسيسكا قد توفت فور ولادتها ولهذا فقد نبذها والدها وأخذتها جدتها وربتها معها بعيداً عن باقي أفراد آل فلوتشيانو الآخرين. وبعد ان بلغت لوتشيانا ونارسيسكا سن

البلوغ صارت نارسيسكا تذهب لقضاء الصيف أو الشتاء مع أصدقاء جدتها وأقارب جدتها في اسبانيا وايطاليا. وحين تعود كانت الصديقتان تعاودان قضاء الوقت سوياً وكانت جعبة نارسيسكا ممتلئة دوماً بالأخبار والأحاديث والمغامرات والتي كانت لوتشيانا تستمع لها بكل لهفة وحب وتضحك لفرح صديقتها وتتأثر بكل كلمة تخرج من فم نارسيسكا الجميلة. ورغم ان الفرق بالسن بين نارسيسكا ولوتشيانا كان قليلاً فالأولى تكبر الأخيرة بثمانية أشهر فقط الا ان لوتشيانا كانت تشعر ان صديقتها أكبر منها بزمن نظراً لخروجها وتعرفها على العديد من الأشخاص والأناس ولذكائها وقوة شخصيتها الطاغية ورقتها المتناهية وبعد نظرها بالعديد من الأمور. ودائماً كانت نارسيسكا هي المتحدثة ولوتشيانا هي المستمعة أو المنفذة لرغبات وطلبات الصديقة العزيزة.

انتبهت لوتشيانا من أفكارها على رائحة الطعام الذي يوشك على الاحتراق فنفضت عن رأسها كل الذكريات وتابعت تحضير الطعام وبعد دقائق كانت تتناوله مع والدتها.

استيقظت لوتشيانا صباح اليوم التالي وبدأت الروتين العادي الذي تقوم به كل يوم. حضرت طعام الفطور ووضعته على الطاولة قرب والدتها النائمة ثم رتبت غرفتها، تناولت ساندويتش خفيف ثم ارتدت ملابسها العادية جداً وانطلقت الى المدرسة.

كان بداخلها شعور غريب ينبؤها ان هذا اليوم لن يكون كغيره من الأيام ولهذا فكان قلبها ينتفض كلما دق أحدهم على غرفة صفها وتوقعت المفاجأة التي أنبأها حدسها بها. لكن انتهى يوم المدرسة الطويل الممل دون ان يحدث أي تغيير. ورحلت الى البيت وفتحت بابه بإرهاق ورمت محفظتها على الكنبة ثم اتجهت الى غرفة والدتها كعادتها وهي تفك شعرها المرفوع بكعكة عالية وانسدل شعرها الحريري الأسود على أكتافها بشلال من الابنوس.

فتحت الباب وتسمرت مكانها بذهول. بجانب سرير والدتها الجالسة وابتسامة السعادة تظهر على وجهها المريض المتعب كانت تجلس فتاة شابة بمثل عمر لوتشيانا لكن بشعر أسود داكن يصل حتى أطراف أكتافها وعيون سوداء واسعة برمش كثيف وأنف وفم دقيقين. المفاجأة أبقت لوتشيانا مكانها وعيونها الزرقاء الواسعة تحدق بالفتاة الأخرى بذهول.

«لوتشيانا» صاحت الفتاة ونهضت بسرعة بقامتها الممشوقة مسرعة نحو لوتشيانا وذراعها ممدودتين لها لاحتضانها.

لحظات الذهول تبخرت لتحل مكانها دموع السعادة التي التمعت داخل عيون لوتشيانا وهي تصرخ بعدم تصديق:

«نارسيسكا، نارسيسكا أهذا انت حقاً... نارسيسكا؟!».

عانقتها نارسيسكا بكل حب ولهفة وقالت بين ضحكاتها:

«هذا أنا حقاً أيتها البلهاء أم ان الأشباح يعانقون ويقبلون؟».

«لقد مضى على نارسيسكا وقت طويل وهي تنتظرك» قالت والدة لوتشيانا.

«آه أجل وقد قضيت الوقت مع والدتك ونحن نتحدث عنك أيتها الخبيثة لماذا لم تخبريني عن مرض والدتك؟ لماذا لم تلجأي الي وقت الحاجة ألست صديقتك لا بل شقيقتك المحبة؟».

«بلى، بلى» قالت لوتشيانا بتلعثم:

«لكن نارسي لم أكن أعرف مكانك وفرصة عملي في المدرسة كانت هي وسيلة الانقاذ الوحيدة أمامي».

«آه حسناً تعالي لنحمل أحاديثنا ونتحدث بها في الغرفة المجاورة فقد أرهقت أنا وحدي والدتك بما فيه الكفاية» قالت نارسيسكا وهي تدفع لوتشيانا نحو الخارج.

«لكن الغداء؟!» تمتمت لوتشيانا.

«لقد تدبرت أنا هذا الأمر وتناولنا الغداء أنا ووالدتك هيا الآن فعندي موضوع بالغ الأهمية والخطورة أريد ان أحدثك به».

قالت لوتشيانا بعد ان جلستا على كنبة غرفة الجلوس الوحيدة الكبيرة:

«حسناً، ماذا الآن نارسي يا الله لكم أنا مشتاقة لك ولكم افتقدتك خلال الأشهر القليلة الماضية لقد... لقد كان الوضع مأساوياً...».

«آسفة لأني لم أكن بقربك لوتشيا، أقسم انني لو عرفت

بمرض والدتك لكنت تركت كل شيء وأتيت لأكون معك وأساعدك لكن كما تعرفين بعد وفاة جدتي بعدة أشهر ذهبت لقضاء بعض الوقت مع أقاربها في سويسرا واستمتعت بإقامتي هناك وامتدت زيارتي حتى البارحة. وفور وصولي سألت فلورا مدبرة منزلي عنك وأتيت لرؤيتك اليوم».

«آه نارسي لكم تسرني رؤيتك» قالت لوتشيانا بصدق عميق.

«أنا سروري أكبر لوتشيا في الواقع... أنا بحاجة ماسة لك لوتشيا ولا تستطيعي ان ترفضيني».

«لا أفترض ان بإمكاني ذلك» قالت لوتشيانا بشك:

«انت تعرفين ذلك تماماً نارسي».

«عليك ان تتركي عملك الممل بتلك المدرسة لوتشيا وعليك حزم كل ملابسك - أو لا داعي لذلك - عندي الكثير من الأشياء المجهزة لك في المنزل. ستحضر والدتك معك أيضاً وهناك ستحظى بكل الرفاهية والراحة التي تحتاجها».

نظرت لوتشيانا الى صديقتها بعدم فهم وارتباك فتابعت نارسيسكا:

«فقط قومي بما أطلبه منك. أحضري فقط الأمور الأساسية لك».

«لكن نارسي... مهلاً... لا تغرقيني بأمواج كلامك السريع المدرسة... والدتي... لا أستطيع ترك المدرسة التي توسلت كثيراً حتى تمكنت من العمل بها و...».

«اتركي كل شيء لي لوتشيا، حرام عليك ان تدفني نفسك بتلك المدرسة الكئيبة المملة وبهذه الحياة التعيسة

هيا هيا افعلي ما أقوله لك واتركي كل شيء لي سامر على المديرة وأخبرها عن تركك للعمل هيا الآن».

«لكن أمي . . .» تمتمت لوتشيانا.

«لقد حدثتها عن الموضوع وهي موافقة هيا الآن».

«لكن . . .».

«بلا لكن هيا انهضي».

«أرجوك نارسي لا تتركيني في الغوغاء أطلعيني على كل شيء الآن نارسي أرجوك».

«آه منك كم انت لجوجة حسناً اجلسي مجدداً وسأطلعك على كل شيء».

«سأحضر لنا بعض الشراب أولاً فأنا بحاجة لذلك» قالت لوتشيانا.

أحضرت الشراب وبعد ان اطمأنت على والدتها ووجدتها تغط في النوم عادت الى غرفة الجلوس وناولت صديقتها كأس شراب.

«شكراً لك لوتشيا، انه لذيذ وبارد وهو ما أحتاجه تماماً لأطلعك على الورطة الخطيرة التي لا منقذ لي منها سواك».

ظهر الاهتمام العميق داخل عيون لوتشيانا الواسعة وقالت وهي تحدق بصديقتها الأنيقة الجذابة:

«لقد أثرت قلقي نارسي ما الأمر؟».

«هل ستساعدينني لوتشيا؟ عديني انك ستفعلين».

«بالطبع سأفعل يا أعز أعزائي» ردت لوتشيانا:

«تعرفين انني سأنفذ كل ما تطلبينه مني».

«أعرف ان هذا ما ستقولينه» قالت نارسيسكا:

«ما سأطلبه منك قد يبدو بالغ الغرابة لكني عرفت حين

أتيت اليك انك لن ترديني خائبة».

«ولماذا أفعل؟» سألت لوتشيانا بدهشة:

«لطالما كنت أحب وأقرب صديقة لي».

انتظرت لوتشيانا وهي تتساءل عن سبب الجدية المفاجئة التي ظهرت على وجه صديقتها الرقيقة وعرفت ان ما ستطلبه نارسيسكا منها أمر غير عادي ولربما صعب.

سرحت نارسيسكا بنظرها نحو القصر الرائع الذي تحيا به والذي كان يبدو من نافذة منزل لوتشيانا كالأسد الرابض وسط غابة من الأشجار الخضراء وهو في موقعه أعلى التلة.

سعلت نارسيسكا قليلاً حتى توضح صوتها ثم قالت:

«تعرفين ان جدتي قد انسلخت عن العائلة وأحضرتني وإياها للعيش هنا بعيداً عن كل أفراد العائلة ومنذ ذلك الحين أي منذ ولادتي لم أشاهد ولا هي كذلك أي فرد من أفراد عائلة فلوتشيانو الكرام» تابعت نارسيسكا والكره يلمع داخل عيونها الجميلة:

«وبما ان والدي كان بنفس عنادها فهو لم يحاول إصلاح الوضع وهكذا فقد نسي أمري واهتم فقط بأمر ابنه . . . أي شقيقي الأكبر ولم يحاول حتى الاتصال للسؤال عني ولو لمرة خلال السنوات العشرين الماضية ولم أعرف وجدتي بوفاته الا من الصحف التي ذكرت ذلك، والآن لقد توفت جدتي ولم يعد لي أحد».

«في الواقع لقد توقعت حين سافرت انك . . . انك لن تعودي الى هنا مجدداً وأنك قد تتصلين بعائلتك».

«لا أستطيع ذلك أبداً، فأنا لا أطيقهم وأيضاً من المستحيل لي ان أفعل ذلك».

www.elromancia.com

«اذن ما الأمر؟».

«في الواقع أنا... سوف أتزوج».

نهضت لوتشيانا بدهشة.

«تتزوجين؟ آه، نارسيسكا يا للإثارة! لكن... لمن؟».

«لجيوفاني - ومن غيره؟».

ظلت لوتشيانا جالسة وقالت:

«جيوفاني بيدرو؟ لكن نارسي زوجته لا تزال على قيد الحياة».

«انها كذلك».

«أنا... لا... لا أفهم».

«انه يقوم بإجراءات الطلاق وقد قابل المحامي ودله على ما يجب القيام به وسأرحل مع جيوفاني الى ايطاليا ونبقى هناك حتى نتمكن من الزواج».

مرت فترة من الصمت قطعتها لوتشيانا بقولها:

«لكن نارسي لا يمكنك ان تفعلي هذا... فكري... فكري بسمعتك!».

«لا مجال للنقاش لوتشيا» قالت نارسيسكا بصوت منخفض:

«هذا شيء يجب علي القيام به وبالحال لوتشيا ويجب ان تساعديني».

ظهر الانزعاج على لوتشيانا وقالت:

«جيوفاني بيدرو شاب سليل عائلة معروفة وثرية هو جميل وجذاب وأعرف ان زواجه من لارا كيغزتو كان ظلماً له فقد تم ذلك كإتفاق بين العائلتين حين كان جيوفاني بسن الثامنة عشرة فقط كما وأعرف ان حياتهما معاً هي كالجحيم الحي بسبب تنافر وتباعد طباعهما لكن هذا لا يجب ان

يدفعك لوضع سمعتك على المحك بهروبك معه قبل ان يتم اجراءات طلاقه».

«بل يجب علي ذلك لسببين وليس لسبب واحد لوتشيا. أنا واثقة ان جيوفاني سيحصل على طلاقه بكل تأكيد وهذا ما أكده له المحامي بما ان الطرفين يريدان ذلك وهناك الاعيب وحيل في القانون سيستعملها المحامي لفك الرباط الذي لم يكن من الواجب ان يتواجد بينهما من الأصل تعرفين ان حبنا العميق نما وترعرع دون ان تعرف جدتي ذلك. انه شاب رائع لوتشيا وأنا أحبه بكل ذرة بكياني لا ذنب له بتورطه بذلك الزواج الورقي الاسمي والده كان يعاني من مشاكل قلبية ولو لم يوافق جيوفاني على زواجه من لارا ابنة شريك والده لكان خسر هذا الأخير الكثير من ثروته بالاضافة لخسارته لحياته من جراء الصدمة بعدم موافقة جيوفاني على ذلك، وهكذا فلا ذنب لنا سويا بالوقوع في الحب هذا الشعور الذي يسيطر على كل حياتنا وتصرفاتنا وأنا لو لم أعرف ظروفه لما كنت فكرت لحظة بتسليم قلبي له ولكن ما حدث قد حدث ولو عرفت جدتي بذلك لكانت أقامت الدنيا ولم تقعدها. هي كما تعرفين شديدة البأس ومتسلطة وكانت ترغب بتزويجي لأحد أبناء العائلات العريقة البالغة الثراء من معارفها الكثر. لكن لحسن حظي هي كانت تعتبرني لا أزال صغيرة على هذا وكانت ترغب ببقائي معها لأطول فترة ممكنة وهكذا فلم تعرف بذلك وإلا لكانت وضعت كل عراقيل الكون أمامي وأمامه».

«أفهم هذا نظراً لشخصية جدتك المتسلطة ولكن الرائعة بنفس الوقت».

«وهكذا فقد رحلت جدتي دون ان تعرف ذلك والفضل بذلك لك ولي» ضحكت نارسيسكا وتابعت:

«وأنت تعرفين تماماً مدى حبه العميق لي ومدى تعلقي أنا به انه كل حياتي لوتشيا ولا أتصور ان أعيش بدونه».

«أعرف هذا نارسي لكنك قد انتظرت كثيراً ولن يؤثر عليك الانتظار لفترة قصيرة بعد لحين انتهاء فترة الطلاق».

«قلت لك هناك سببين يجبراني على ذلك» ردت نارسيسكا بسرعة:

«السبب الأول ان محامي جدتي قد استدعاني قبل سفري وأخبرني مفاجأة هزت كياني لوتشيا لقد اكتشفت ان جدتي قد تركت لي ثروة هائلة ثروة لم أكن أتوقعها تركتها تزيد عن الملايين لم يكن عندي أدنى فكرة انها قد تملك هكذا ثروة».

«أنا دائماً فكرت انها بامتلاكها لهذا القصر لا بد وأن تكون ثرية» قالت لوتشيانا ببطء.

«أجل، بالطبع، ثرية بالمعايير العادية» وافقتها نارسيسكا:

«لكن لا تملك ثروة بهذه الضخامة لدرجة انني لا أصدق ذلك! لقد أبقت أمر كل هذه الملايين سراً».

«أعتقد انها لم ترغب بأن يعرف والدك بأمر الثروة هذه».

«أدرك ذلك الآن» قالت نارسيسكا:

«لكن ها قد بدأت هذه الملايين بتعقيد الأمور».

«كيف؟».

«لأنه حالما جاء المحامي لرؤيتي وقد كان بانتظاري فور عودتي من سويسرا، تركت أثينا فوراً وأتيت الى هنا».

ظهرت الحيرة على وجه لوتشيانا.

تابعت نارسيسكا قائلة:

«يجب علي أولاً ان أهرب مع جيوفاني بسرعة قبل ان يعرف أمر هذه الثروة الهائلة وقبل ان يحاول آل فلوتشيانو وضع يدهم علي».

هذه المرة ظهر الذهول على ملامح لوتشيانا.

«أنا... أنا لا أفهم».

«الأمر بغاية البساطة وهذا هو السبب الثاني لضرورة هروبي مع جيوفاني» قالت نارسيسكا:

«فأولاً اذا عرف جيوفاني بمدى ثرائي فهو لن يوافق أبداً على الزواج بي».

«ولماذا تقولين هذا؟».

«لأن كبريائه سيمنعه من ذلك» قالت نارسيسكا:

«فأنا سأكون أكثر ثراءاً منه وسيعتقد ان الجميع سيطلقون عليه اسم صائد الثروات. وبالتالي فهو سيتركني وهذا سيحطم قلبي وحياتي بأكملها».

طريقة تحدث نارسيسكا كانت صحيحة ومنطقية فعلاً نظراً لمعرفة لوتشيانا ان جيوفاني شاب ذو أنفة وكبرياء ولن يرضى بأن يكون وضع زوجته المادي أفضل بكثير من وضعه هو بوصفه بالغ الحساسية والرقة ويريد ان يكون هو معيل العائلة والمسؤول عنها.

«هو يحبني، يحبني» تابعت نارسيسكا:

«لكنه لن يقبل أبداً بأن يعتقده الآخرون صائد ثروات».

«وهل سيوافق على الهروب معك؟».

«سيفعل حين يعرف السبب الثاني».

«وما هو السبب الثاني؟» سألت لوتشيانا بقلق.

www.elromancia.com

«رسالة موجودة هنا ومرسلة من ابن العم. كارلو فلوتشيانو المركيز الجديد لآل فلوتشيانو».

«ولماذا يكتب هذا المركيز لك؟».

كانت لوتشيانا تعرف انه بعد وفاة شقيق نارسيسكا الوحيد بحادث طائرة أودى بحياته وبعد وفاة والد نارسيسكا المركيز الأول لآل فلوتشيانو بعد سنة اثر صدمة وفاة ابنه انتقل اللقب الى ابن شقيقه الذي كان قد تزوج بسن صغير. وإذن فالمركيز الجديد لآل فلوتشيانو، ابن عم نارسيسكا لا بد وأن يكون رجل متقدم بالسن كان قد خدم في الجيش دون ان يعلم حتى بانتقال هكذا لقب اليه بيوم من الأيام.

«وما الذي يريده المركيز الجديد منك؟» سألت لوتشيانا.

تصلبت شفاه نارسيسكا وقالت بصوت قاسي:

«أخبرني انه بما ان جدتي قد توفت فقد أصبح هو الآن الوصي علي حتى بلوغي سن الواحد والعشرين وهو يأمرني، كأنني احدى جواريه، بالقدوم الى الأولمبيك في الحال لأنه قد رسم العديد من الخطط لمستقبلي».

شهقت لوتشيانا بصدمة.

«لا أصدق انه قد كتب كل هذا».

«لقد فعل! سأريك الرسالة، وإذا اعتقد للحظة انني سأطيعه فسيكتشف انه مخطىء تماماً».

«لكن... اذا كان هو الوصي عليك...؟».

«هو عين نفسه كوصي علي الآن فقط لأنه سمع عن الثروة التي تركتها لي جدتي» قاطعتها نارسيسكا:

«لست بغبية لو كان الأمر يتعلق بمبلغ بسيط من المال لما تكلف ابن العم العزيز مشقة الاتصال بي أو حتى مجرد

الاكتراث بأن أكون حية أو ميتة. لكني الآن وريثة الملايين وهكذا فالأمر يختلف».

«ولماذا انت متأكدة انه هكذا؟» سألتها لوتشيانا.

التمعت الكراهية داخل عيون نارسيسكا الجميلة وتصلبت ملامحها وقالت:

«كانت جدتي دائماً تعود اليهم بتعبير (جامعوا المال) وكانت على حق! أنا واثقة تماماً انه وبعد سماعه لأخبار الملايين التي ورثتها فإن ابن العم الجشع يريد ان يضع يده القذرة عليها».

«آه نارسي، انت تبالغين بالأمر» احتجت لوتشيانا.

«لماذا تدافعين عنهم؟» سألت نارسيسكا بدهشة:

«والدي توفي قبل حوالي السنة وفقط الآن وبعد وفاة جدتي يأمرني المركيز الجديد بالقدوم الى الأولمبيك. أفضل الموت على فعل ذلك».

«انت لا تعنين ذلك».

«لا، لا أقصد ذلك فعلاً» ردت نارسيسكا بخفة:

«سأرحل لأعيش مع جيوفاني ومن ثم أتزوجه قبل ان يعرف بمدى ثرائي. بعد ان نصبح زوجين فلن يتمكن لا هو ولا المركيز الجديد من فعل أي شيء».

«هذا صحيح» وافقتها لوتشيانا:

«لكن لا تستطيعي الزواج من جيوفاني الا... الا بعد حصوله على الطلاق من زوجته».

«لقد باشر بالأمر! لقد أخبرتك بذلك والمحامي يؤكد له ان الأمر لن يطول».

«أعرف لكني أفضل ان تنتظري قليلاً نارسيسكا. أرجوك انتظري قليلاً قبل... قبل قيامك بخطوة... مجنونة».

«سأتحمل كل المخاطر التي قد تتبع هذه الخطوة».

«لكن افترضي ان المركيز سيبحث عنك ويحضرك من المكان الذي تختبئين به؟».

«هذا هو السبيل الذي سأدفع به جيوفاني لأخذي بعيداً». قالت نارسيسكا:

«سأريه رسالة ابن العم فلوتشيانو وسيخمن جيوفاني دون شك ان هناك دافعاً داخلياً لاهتمام ابن العم المفاجىء بي لكني لن أدعه يعرف ان الدافع هذا هو المال بل فقط انني من آل فلوتشيانو وأن علي الذهاب للإنضمام لبقية العائلة الموجودة في الأولمبيك لأكون تحت وصايته نظراً لأنني لم أبلغ السن القانوني بعد وكوني - فتاة عزباء وجذابة ووحيدة».

«أتعتقدين ان جيوفاني سيصدقك؟».

«سيصدق ذلك لأنه سيرغب بتصديقه وتعرفين كما أعرف أنا تماماً لوتشيا انه يحبني كثيراً».

لان صوت نارسيسكا فسارعت لوتشيانا تقول:

«أجل يا حبيبتي أعرف ذلك جيداً وأنت بدورك تحبينه. بنفس الوقت... من الخطأ لكما سوياً... ان تعيشا معاً... الا بصفتكما زوجاً وزوجة».

«أعرف بماذا تفكرين» قالت نارسيسكا بابتسامة صغيرة:

«لكن لا داعي لتقلقي بشأني بهذا الخصوص. جيوفاني نفسه يريد حمايتي لأقصى درجة وأنا واثقة انه لن يرتكب أي خطأ معي طالما انني لم أصبح بعد زوجته» رفعت ذقنها وتابعت بتحدي:

«وبنفس الوقت اذا اكتشفنا المركيز الجديد وحاول ابطال عقد الزواج بكوني تحت السن القانونية فسأعمل على ان

يكون لي طفل بعد الزواج مباشرة».

«نارسي أرجوك فكري....» بدأت لوتشيانا باحتجاج.

لكن نارسيسكا أمسكت بيديها بسرعة وقاطعتها قائلة:

«أرجوك حبيبتي أنا أعرف تماماً ما أقوم به. جيوفاني هو كل ما يهمني بهذه الدنيا لوتشيا وسعادتي بأكملها تكمن ببقائي الى جانبه. ولهذا عليك ان تساعديني».

«أنا... لا أعرف بأي طريقة... بإمكاني مساعدتك نارسي» قالت لوتشيانا بتأثر وصدق.

«الأمر بغاية البساطة» أجابت نارسيسكا:

«ستذهبين الى أولمبيك مكاني وتبقين هناك الى ان أتزوج أنا من جيوفاني».

«نارسي! هل جننت... كيف أذهب أنا... مكانك؟».

«تذهبين وتدعين انك أنا» ردت نارسيسكا ببساطة.

«لا أستطيع ان أفعل ذلك... هذا مستحيل» رددت لوتشيانا مجدداً.

لكن صوتاً داخلها أخبرها ان مقاومتها تضعف وأن نارسيسكا ستنجح أخيراً بتنفيذها ما تنوي القيام به بعناد وتصميم. هكذا كانت الحال بينهما منذ الطفولة مهما عارضت لوتشيانا فستتمكن نارسيسكا أخيراً من تنفيذ ما تصمم عليه.

«ولماذا مستحيل؟» سألتها نارسيسكا.

«لأنهم... لأنهم سيعرفون انني لست انت».

«ولماذا يعرفون؟» سألتها نارسيسكا:

«لم يشاهدني أي أحد من أقاربي مذ كنت بعمر العشرة أشهر وحتى الآن كما تعلمين لم يهتم أي أحد منهم بي،

لم تصلني ولا رسالة واحدة من أي فرد منهم لا من عماتي ولا عمي الا رسالة كارلو فلوتشيانو اليتيمة هذه طوال سنوات وسنوات» تابعت بثقة وكراهية:

«من الواضح جداً انه مهتم فقط بالثروة التي وصلت الي في الحقيقة أخبرني المحامي ان كارلو فلوتشيانو هو الوحيد الذي يعرف بأمر هذه الثروة».

«كيف تمكنت جدتك من اخفاء هكذا سر كبير عن الجميع؟» سألت لوتشيانا بفضول.

«كانت تستثمر معظم أموالها في قبرص وبلاد المغرب ويبدو ان فروع الاستثمار الزراعة والتجارة هناك كانت ممتازة نظراً لبلوغ الثروة الملايين» تنهدت نارسيسكا وتابعت:

«ما أطلبه منك لوتشيا مسؤولية كبيرة وليس بركة. أعرف ان جيوفاني سيكره فكرة ان أكون بالغة الثراء، ولن أعرف مطلقاً سواء سيحبني الآخرون بسبب ما أنا عليه أو بسبب ما أملك».

«بالطبع سيحبونك لطبيعتك ولشخصيتك المحببة» ردت لوتشيانا بسرعة.

ابتسمت نارسيسكا وقالت:

«هذا ما أرغب بسماعه ولا أريد ان أصبح مثل جدتي كارهة كل أفراد آل فلوتشيانو لأنها تشعر انهم يسعون خلف مالها وثروتها».

«أرجوك لا تدعي هذا الأمر يؤثر عليك» توسلت لوتشيانا:

«أنا أفهم كم الأمر مقلق حين تملكين هكذا ثورة وسيكون عليك اخفاء الأمر عن جيوفاني».

«اذا تفهمت هذا فسيكون عليك مساعدتي» سارعت نارسيسكا للقول.

«لكن لا أحد سيصدق انك أنا» عادت لوتشيانا للإحتجاج.

«ولم لا؟» سألتها نارسيسكا:

«نحن بنفس الطول والقامة وبنفس العمر تقريباً وعيون والدتي كانت زرقاء كما أخبرتني جدتي مرة وأحد من العائلة لم يشاهدني منذ الطفولة».

«وماذا عن... عن والدتي؟» سألت لوتشيانا وهي تنظر بحنان نحو غرفة والدتها المريضة.

«هذا هو وجه الصعوبة الأكبر بالقضية» قالت نارسيسكا بتفهم:

«أمر بعادك عن والدتك لكني أعدك لوتشيا انني سأعتني بها تماماً كما لو انها والدتي واذا اضطررت لمغادرة قصري فسأترك معها كل الخدم وكل المربين حتى يسهروا على خدمتها وعلى راحتها وبإمكانك ارسال الرسائل لها طوال فترة بقائك في الأولمبيك وادعي انك تراسلين احدى صديقاتك والفترة لن تطول أعدك بذلك وحالما تعودين ستجدين ان صحة والدتك قد أصبحت ممتازة وسيكون كل شيء على أحسن حال لوتشيا. انت ووالدتك مسؤولتان مني منذ الآن فصاعداً ولن أدعكما تعانيان أي شيء منذ هذه اللحظة».

«لكن نارسي أنا... لن أقبل المال منك» قالت لوتشيانا باعتراض.

ربتت نارسيسكا على كتفيها وقالت:

«الأنسة كبرياء» ضحكت وتابعت:

«لا تعترضي مطلقاً على ما أقوله لوتشيا وإلا أقسم انني سأضربك فأنا أكبرك بشهرين كما تعرفين انت من هذه اللحظة شقيقتي ووالدتك كوالدتي انتما وجيوفاني كل عائلتي ولا أريد ان تعتبريني أي شيء غير هذا أتسمعين؟ على كل حال سنفكر بكل شيء لاحقاً وتأكدي انك ستكونين بأحسن حال لوتشيا هيا الآن تعالي لنرى والدتك لقد أخبرتها انني سأرسلك الى أثينا لأخذ دروس في الموسيقى والرسم بما انك ترغبين بأن تصبحي رسامة وان فترة الدراسة تستمر لعدة أشهر. أشعر بالخجل لأنني كذبت عليها لكن حين ينتهي كل شيء سنطلعها على الحقيقة وأنا واثقة ان والدتك الطيبة ستسامحني على كذبتي البيضاء هذه».

دخلتا الغرفة وكانت والدة لوتشيانا قد استيقظت فعلاً قالت:

«أشعر كأنكما تخططان لأمر ما».

«لا أبداً» سارعت نارسيسكا للقول:

«سترحل لوتشيا في مطلع الاسبوع المقبل الى أثينا لبدء دورة الفن وستأتين معي يا سيدتي العزيزة للسكن في القصر».

«يصعب قول لا لك آنسة نارسيسكا وبعد حديثنا المطول أرى انه لا يجب علي الا القول افعلي ما تجدينه مناسباً».

«يصعب علي الابتعاد عنك أمي» قالت لوتشيانا وهي تحتضن والدتها:

«سأبعث لك برسالة كل يوم سبت وأريد ان أعود وأجدك على تمام الصحة».

«هيا الآن لنذهب الى القصر سأطلب من السائق ان يأتي لحمل الأغراض فقط سنجمع ما تعتبرانه أهم ما تملكان كل شيء مجهز لكما في القصر لوتشيا لا تحملي أي من ملابسك فهناك العشرات من الأثواب التي تنتظرك في القصر».

فتحت لوتشيا فمها لتعترض الا ان نارسيسكا وضعت يدها على فم لوتشيانا وقالت

«هيا لنذهب».

القصر كان رائع التصميم بحدائقه الغناء المزروعة بكل أنواع الورود والمرتبة بأحواض دائرية فوق الحشائش الخضراء وحول بركة المياه الضخمة التي كانت تتوسط ساحة القصر. غرف القصر أيضاً كانت ضخمة ومؤثثة بأفخر الرياش وأثمن السجاجيد وأغلاها.

بعد تناولهم للغداء أدخلت نارسيسكا والدة لوتشيانا الى الغرفة المعدة لها والتي كانت واسعة بسرير ضخم على الطراز الفرنسي ذو الستائر المنسدلة وكان لون الغرفة والأغطية يتراوح بين الأزرق الفاتح والغامق بشكل ساحر ومريح. بجانب السرير كان هناك كرسيين خشبيين محفوري الظهر وطاولة صغيرة عليها مصباح من النحاس الفخم. وعلى أحد الجدران هناك مرآة ضخمة وعلى الجدار الآخر باب زجاجي يؤدي الى شرفة صغيرة خاصة تطل على القرية بأكملها وتمتد تحتها السهول الخضراء المتمايلة.

«آنسة نارسيسكا... انها... انها غرفة رائعة» قالت والدة لوتشيانا بذهول وهي تنظر الى الروعة حولها.

«انها منذ الآن غرفتك ولا تتردي برن الجرس هذا بطلب

الخدم كلما احتجت لأي شيء».

«شكراً نارسي هذا لطف كبير منك» قالت لوتشيانا برقة.

«انت من هي بالغة اللطف لوتشيا هيا الآن لنصعد أنا وأنت الى الغرفة العلوية لأني بحاجة للتحدث معك ولنترك والدتك لتأخذ قسطاً من الراحة فالانتقال من منزلكم الى هنا قد أرهقها دون شك».

«أنا فعلاً أشعر ببعض التعب» قالت الوالدة بوهن.

وضعتها لوتشيانا في الفراش ثم قبلتها وغادرت ونارسيسكا الغرفة.

«سأعين لها ممرضة خاصة تسهر على راحتها لوتشيا» قالت نارسيكا وهما تصعدان الى غرفة نوم الأخيرة:

«فهي بحاجة للعناية المستمرة».

«آمل ان تتحسن حالتها نارسي فهي كل ما أملك».

«لديك شقيقتك الجديدة أيضاً لوتشيا لا تنسي هذا أبداً».

ضحكتا سوياً وفور دخولهما فتحت نارسيسكا خزائنها وانبهرت لوتشيانا بعدد الأثواب الرائعة والهائل الذي رأته.

«كل هذا سيكون لك لوتشيا لكن كما ترين عليك بهذه المدة فقط ارتداء الأثواب البيضاء والرمادية والزرقاء لاحقاً يمكنك ارتداء بقية الألوان بما انه لم يمض فترة طويلة على وفاة جدتي».

«نارسي الى اين ستذهبين انت وجيوفاني؟». سألت لوتشيانا.

«الى سويسرا وسنكون هناك بوصفنا السيد والسيدة بيدرو».

«هل انت واثقة ان جيوفاني سيوافقك على ذلك؟».

ظهر القلق للحظة داخل عيون نارسيسكا الجميلة وقالت:

«اذا كان جيوفاني يحبني كما أنا واثقة من ذلك فهو لن يرغب بذهابي الى أولمبيك حيث سيدفعني الوصي علي لمزواج من أحد الذين يختارهم لي».

«هل انت واثقة انه سيفعل ذلك؟».

«أنا واثقة من ذلك» كررت نارسيسكا:

«ولا شك ان عريس المستقبل هذا ينتمي للعائلة الكريمة ذاتها وحتى لا تخرج الأموال لأحد غريب».

لم تجادلها لوتشيانا وبنفس الوقت لم تستطع ان تصدق ان آل فلوتشيانو كانوا بالبشاعة التي تعتقدها نارسيسكا لكن الوصي بإمكانه اذا أراد فعلاً تزويج نارسي ممن يريد ولن تتمكن الأخيرة من فعل أي شيء.

«لا أزال أعتقد ان ما تقومين به... خاطئاً».

«لا أريد المزيد من التحدث بهذا الموضوع هيا لنحضر الحقائب الآن لأن عليك الذهاب بعد غد».

«أرى انك لم تتوقعي ان أعارضك».

«وكيف كان بإمكانك ذلك وأنت تعرفين مدى أهمية هذا الأمر لي؟» وتابعت:

«لو كان الوضع معكوساً فأنت تعرفين انني كنت سأفعل هذا من أجلك».

«كما سبق لك وفعلت».

ضحكت نارسيسكا وقالت:

«ومهما كان الوضع في أولمبيك فهو لن يكون بكآبة المدرسة الجميلة تلك».

ضحكت لوتشيانا وقالت بجدية:

«أشعر... بالرعب الشديد من... من فكرة ذهابي الى أولمبيك... ففي أي لحظة... قد يكشفون أمري ويطردوني».

«لن يطول الأمر كثيراً لوتشيا أعدك بذلك» قالت نارسيسكا برقة:

«لحظة زواجي من جيوفاني ستتمكنين من الرحيل من أولمبيك».

«وماذا سأفعل بعد ذلك؟».

«ما أخبرتك انت ووالدتك أصبحتما مسؤوليتي وستعيشان معي وبعدها سنجد أنا وجيوفاني لك عريساً جذاباً وجميلاً مثل جيوفاني لتتزوجيه وتعيشين معه بسعادة الى الأبد» ضحكت نارسيسكا وتابعت:

«هيا لنجري بعض التعديلات عليك الآن وساعلمك طريقة السير والجلوس والتحدث حتى تصبحين سيدة الصالونات الأنيقة الأولى».

ضحكتا وأخذت نارسيسكا تلبس لوتشيانا الأثواب الجميلة واحد تلو الآخر بعد ان رفعت لها شعرها بطريقة ملائكية وأضافت بعض الكحل الى عيونها الواسعة واللون الى خديها وشفتيها. في كل مرة كانت لوتشيانا تنظر الى المرآة لتفاجىء برؤية لوتشيانا الجديدة لا تشبه الأولى الا بالملامح والاسم. وتساءلت لكم تغير الملابس، التسريحة والماكياج من مظهر المرأة العام.

قضتا بقية النهار ونارسيسكا تعطي لوتشيانا دروس التحرك والتحدث وما اليه. وكانت لوتشيانا سريعة البداهة وأخذت تقلد ما تفعله نارسيسكا بذكاء ومطابقة.

«رائع، لقد ولدت لتكوني سيدة رائعة لوتشيا» قالت

نارسيسكا.

«لكني لن أكون أبداً مثلك هناك... الثقة بالنفس... والطبيعية... لن أنجح بذلك نارسي».

«بلا فلسفة الآن وجهك الجميل هذا يخفي كل شيء داخل نفسك بنجاح فالقلق لا يظهر عليه وكذلك لن يشك أحد حيث يرى براءتك ورقتك انك تدعين أو تخادعين».

«لكني أعرف أنني كذلك».

«الدافع حماية سعادة شخص تحبينه وتريدين له الخير لوتشيا تعرفين انني اذا لم أفعل هذا فستتدمر حياتي الى الأبد. أرجوك الآن لا تكوني بهذه الحساسية فكري فقط انك تقومين بدور صغير في فيلم الحياة ولفترة قصيرة ومحددة. حسن! هيا انزعي هذا التجهم عنك وابتسمي فلدينا زائر حبيب على العشاء».

«جيوفاني؟» سألت لوتشيانا.

«بالطبع ومن غيره لقد دعوته وسأطلعه على ما اتفقنا عليه القسم المتعلق بذهابك الى أولمبيك فقط وأنا واثقة انني سأتمكن من اقناعه بصواب ما نفعل».

ترددت لوتشيانا قليلاً قبل ان تقول:

«الا تعتقدين يا نارسي الحبيبة انه... انه من الأفضل ان تطلعي جيوفاني على كل الحقيقة؟ حين يعلم بعد زواجكما بأمر اخفائك لخبر ثروتك عنه ألن يغضب ويشعر انه لن يثق بك مجدداً في المستقبل؟».

صمتت نارسيسكا لفترة وتصلبت شفتاها للحظات وظهرت الجدية على ملامحها ومعها التصميم قبل ان تقول:

«هذه مخاطرة يجب علي تحملها لكني أشعر انه بعد

رواجنا لن يعود لأي شيء أهمية باستثناء حقيقة اننا سوياً مع بعض الى الأبد».

وهذا ما رأته لوتشيانا لاحقاً انه صحيح.

الوالدة تناولت العشاء في غرفتها ثم خلدت للنوم وفيما كانتا الفتاتان تثرثران في غرفة الجلوس بانتظار تحضير الطعام رن جرس الباب وكان القادم جيوفاني بيدرو.

«جيوفاني أهلاً بك» سارعت نارسيسكا للترحيب به وعيونها تشع بشدة.

فأمسك بيديها وقبلهما بعمق وقال وعيونه لا تبتعدان عنها:

«نارسي لقد اشتقت لك كثيراً».

«العشاء جاهز» قال مدير الخدم.

«لنتناول العشاء أولاً ثم نتحدث كثيراً بعد ذلك».

تناولوا الثلاثة العشاء وعيون جيوفاني لا تبتعد عن وجه نارسيسكا وقد حاول التحدث قليلاً مع لوتشيانا حتى لا يبدو بلا لياقة لكن حين كانت عيونه وعيون نارسيسكا تلتقيان كان كل شيء حولهما يتبخر وكأنهما وحدهما بهذا الكون.

حالما انتهى العشاء صعدت لوتشيانا الى الطابق العلوي.

«سأستدعيك فور حصولي على موافقة جيوفاني» قالت لها نارسيسكا بهمس.

«لا تختلقي الكثير من الأكاذيب نارسي» نصحتها لوتشيانا.

«أجل بالطبع».

شعرت لوتشيانا بالاضطراب والقلق فور اغلاق باب الغرفة عليها فما سيحدث كان حديداً تماماً عليها، لقد

عاشت حياتها بشكل هادىء روتيني وعادي ورغم انها كانت تتذمر داخلياً من هذا الوضع أحياناً الا انها بداخلها قد اعتادت عليه والآن سيكون أمامها مغامرة جديدة تماماً لا تعرف ما الذي سيحدث لها في أولمبيك أو ماذا ستقابل لكنها تسلحت بالشجاعة وقالت:

«يجب ان أكون شجاعة ومغامرة، فالدافع هو حبي لنارسيسكا وحمايتي لسعادتها ولن أكترث مهما حدث لي لأن الله لا بد وسيكون معي».

لكنها في الحقيقة لم تكن تشعر لا بالشجاعة ولا بالقوة فشغلت نفسها بالنظر الى المرآة والتمتع بمظهرها الجديد تماماً هذا مدركة انها تشعر بالسعادة لارتدائها هذه الأثواب الساحرة التي غيرت مظهرها تماماً وزادت جمالاً وسحراً.

حين سمعت صوت طرقة على الباب قفزت وعادت الى الواقع وكان أحد الخدم يخبرها ان السيدة تطلبها للنزول.

ابتلعت ريقها بصعوبة ورفعت رأسها ثم نزلت الى حيث نارسيسكا وجيوفاني. كانا يمسكان بأيدي بعضهما البعض والسعادة والحب ينضحان من عيونهما وكل ملامحهما وأدركت لوتشيانا انها حتى ولو كان بهذه المغامرة نهايتها فستقوم بذلك لتؤمن لهذين العاشقين الرائعين كل السعادة والهناء.

«تعالي وتحدثي معنا يا أحب وأغلى لوتشيا في العالم» قالت نارسيسكا لها بصدق:

«لقد أخبرت جيوفاني كم كنت لطيفة بقبولك بالذهاب الى أولمبيك مكاني وهو ممتن لأقصى درجة لك».

«أنا كذلك فعلاً، لوتشيانا» قال جيوفاني بصدق:

«لكن وكأننا نطلب منك الكثير».

«أنا . . . أريد . . . المساعدة» قالت لوتشيانا بهدوء.

«وستساعدينا ببقائك في أولمبيك لحين زواجنا فقط». قالت نارسيسكا.

«أنا فقط آمل . . . ان أتمكن من لعب هذا الدور بنجاح».

«ستنجحين لوتشيانا، أنا واثق من ذلك» قال جيوفاني: «فأنت بغاية الجمال والأناقة وانك تشبهين نارسي فقط هي . . .» توقف لإدراكه ان ما سيتابعه قد يبدو فظاً أو غير لائقاً للوتشيانا.

فتابعت نارسيسكا الجملة عنه:

«. . . فقط هي أكثر جاذبية وجمالاً مني».

«هذا ما أردت قوله» قال جيوفاني بابتسام:

«لكني متحيز بعض الشيء لنارسي».

«هذا ما أريدك ان تكونه دوماً» قالت نارسيسكا بحب:

«وإلا فإنني أحذرك جيوفاني انني سأكون غيورة وغيورة جداً».

«ليس بنصف غيرتي عليك يا حياتي» قال:

«فلو نظرت للحظة لرجل آخر فإنني قد أقتله».

ضحكت نارسيسكا بسعادة وأمسكت بيديه بحنان.

«سنكون بغاية السعادة» قالت:

«وستكون حياتنا هي كل الحب والهناء».

«تستطيعين ان تكوني واثقة من هذا يا حبيبتي» قال موافقاً:

«لكن كنت أتمنى لو كان الأمر أسهل ولو كان باستطاعتنا الزواج في الحال».

«أنا واثقة ان انتظارنا لن يطول كثيراً» قالت نارسيسكا:

«ولا أستطيع المخاطرة بفقدانك».

«لن يكون عليك هذا أبداً» قال وتابع:

«وأنا لا أستطيع المخاطرة بإرسالك الى أولمبيك حيث سيزوجك قريبك لرجل آخر».

«أنا واثقة ان هذا ما سيفعله» قالت نارسيسكا:

«وإلا فلماذا يرسل تلك الرسالة لي في هذا الوقت بالذات وبعد مرور كل تلك السنوات؟».

«الأمر يدعو للشك فعلاً» قال جيوفاني:

«ولهذا فسنقوم بما تريدين. يجب ان أرحل الآن وأقوم بالترتيبات اللازمة لسفرنا بعد أسبوع».

«أجل بالطبع» قالت نارسيسكا.

انسحبت لوتشيانا من الغرفة حتى تتيح لهما الوداع وصعدت نارسيسكا اليها بعد بعض الوقت وعيونها تبرق وتشع وعانقتها قائلة:

«لن أتمكن من شكرك أبداً لوتشيا على مساعدتك لي انت فعلاً أغلى وأحب صديقة لي».

«وأنت كذلك بالنسبة لي نارسي . . . أخبريني كيف . . . كيف سأذهب الى أولمبيك؟».

«بعربتي الخاصة طبعاً السائق جديد وهو لم يتعرف علي بعد لقد وظفته عبر مكتب في أثينا وحين ذهبت لإحضارك لم يكن السائق قد وصل سيصل غداً مساءاً وهكذا فهو سينقلك الى أولمبيك بوصفك الآنسة نارسيسكا فلوتشيانو المبجلة».

«وماذا بعد؟».

«عربة المركيز فلوتشيانو ستكون بانتظارك في نارسك وستقلك من هناك الى أولمبيك التى تبعد مسافة قصيرة جداً

www.elromancia.com

عن نارسك».

نهضت نارسيسكا وتناولت من أحد الجوارير رزمة من الأوراق النقدية وقالت:

«خذي مبلغ العشرة آلاف هذا معك».

«عشرة آلاف؟».

«قد يكون عليك الفرار واذا ثبت ان ابن العم كارلو سيكون مقيتاً وسيجبرك على القيام بأمر لا ترغبين به فالأفضل لك اختيار الأماكن الممكنة حيث لن يتمكن أبداً من الوصول اليك».

«أجل... بالطبع» ردت لوتشيانا بتردد:

«لكني آمل انه لن يكون... شديد... شديد الغضب... حين يعرف بالخدعة التي قمنا بها عليه».

هزت نارسيسكا كتفيها:

«وما أهمية هذا الأمر؟ سأكون قد تزوجت وساعتني وجيوفاني بك فلا تكترثي لهذا الأمر مطلقاً وأيضاً ساعطيك مبلغ آخر بشكل شيكات تستطيعين صرفها حينما تريدين من مصرف التأمين العالمي».

«لكن هذا كثير» احتجت لوتشيانا.

«لا أبداً تذكري انك فتاة بالغة الثراء دون ذكر الملايين التي ورثتها يجب ان تصرفي بسخاء ولا تهتمي أبداً لمسألة المال فهناك الكثير منه لك ولي».

«انت... بالغة اللطف».

«لا أبداً! انت مثال اللطف هنا لوتشيا وأنا ممتنة لك الى الأبد».

«لا تقولي هذا نارسي...».

«هيا الآن لنتابع دروسنا التمرينية والتي أراهن انك

ستنسيها فور مغادرتك لهذه الغرفة».

ضحكتا سوياً وباشرتا التمرينات.

أعصاب لوتشيانا كلها كانت متشنجة حين تركت سيارة نارسيسكا وصعدت الى سيارة المركيز وتنهدت الصعداء لسبب تجهله حين لم تجد المركيز بنفسه داخل السيارة بل رسول من قبله عرفها عن نفسه بوصفه السيد ستيفانو بولاك المسؤول الأول عن القصر.

سيارة المركيز كانت فاخرة بلون أبيض عاجي ومن نوع الشيفروليه الكبير فجلست لوتشيانا وأخذت تحاول ان تهدأ أنفاسها المضطربة لمقابلتها القريبة.

«المركيز ينتظرك في القصر آنسة فلوتشيانو» قال ستيفانو بأدب:

«انه متشوق جداً لمقابلتك».

«وأنا أيضاً» قالت متظاهرة بالابتسام ودقات قلبها المتسارعة تثبت العكس.

دخلت السيارة بطريق فرعي خاص مزروع بالأشجار على الجانبين ثم عبر قنطرة رخامية ضخمة دخلوا الى القصر الأبيض الرائع الذي كان يتربع وسط حديقة غناء تملؤها التماثيل ونواقير المياه بالاضافة الى كافة أنواع الأزهار الملونة التي كانت تزهو داخل الأحواض المخصصة لها.

لم تستطع لوتشيانا رغم اضطرابها الا ان تتأثر وبشدة بالمنظر الرائع الساحر في الخارج وعبر عن ذلك البريق الذي التمع داخل عيونها الزرقاء الواسعة وهي تقول:

«يا لهذه الروعة! لم أتصور ان هناك حديقة بمثل هذا الجمال الخيالي».

«المركيز الأول - والدك رحمه الله - كان يهتم كثيراً بالحفاظ على سحر وجمال هذه الحديقة التي كان يقضي بها معظم ساعات النهار وخاصة... خاصة بعد وفاة السيد الشاب وحفاظاً على ذلك فإن حضرة المركيز الحالي يتابع على نفس المنوال وقد عين جنائني جديد بالاضافة للاثنين الآخرين للإهتمام بالحديقة وأزهارها... ها قد وصلنا. لقد سررت بالتعرف اليك آنسة فلوتشيانو وسنلتقي كثيراً في المستقبل تفضلي وأتمنى الا تكون الرحلة قد أتعبتك».

«لا شكراً لك لقد سررت أنا أيضاً بالتعرف اليك سيد بولاك».

تسارعت نبضات قلبها مجدداً ووصل توترها الى أقصاه.

فاللحظة التي كانت تخشاها مذ أخبرتها نارسيسكا بالخطة قد حانت أخيراً ومقابلتها مع المركيز المتسلط ستغدو حقيقة بعد لحظات قليلة، لكنها تشجعت وشدت أزر تصميمها حين فكرت بالسعادة التي ستحصل عليها نارسيسكا بنجاحها هي بالقيام بهذه الخدعة هنا.

كان باستقبالها مدبرة المنزل وامرأة كبيرة في السن وطيبة الملامح والتي عانقتها بحب حالما رأتها.

«نارسيسكا الحبيبة لقد كنت أنا من حملك حالما ولدت وربيتك لتسعة أشهر بعد... بعد... آه! دعيني أنظر اليك جيداً لقد كبرت وأصبحت فتاة ساحرة الجمال لكن... عيونك على ما أذكر لم تكن زرقاء تماماً... آه لا شك انني بدأت أعاني من الخرف بسبب العمر المتقدم عيونك كعيون والدتك تماماً رحمها الله لكم كانت سيدة شريفة وطيبة».

اللون الذي تلاشى من وجه لوتشيانا للحظات بعد

ملاحظة المربية الصائبة عاد اليها تدريجيا بعد ان استمرت المربية بحديثها.

«هناك الكثير الكثير الذي أود ان تخبريني به لكن الآن علي ايصالك الى غرفة المكتب حيث ينتظرك السيد كارلو سيكون أمامنا بعدها الوقت الطويل للثرثرة! هيا يا ابنتي لتتعرفي على وصيك الجديد».

لطف المربية العجوز ورقتها استمالا لوتشيانا ورغبت لو تبقى مع هذه المرأة وتتجاهل المركيز الذي كان بانتظارها لكن الخوف والهروب لا يصلحان لهذا الوضع فأصلحت من وضع ثوبها الأبيض الواسع والذي يظهر تناسق وجمال جسدها ثم سارت مع المربية الى اللقاء المنتظر.

كل تصورات لوتشيانا وتخيلاتها عن المركيز فلوتشيانو تبخرت وتلاشت فور وضعها لقدمها داخل غرفة المكتب. كانت تتصور انها ستشاهد رجلاً متقدماً بالسن بشعر أبيض وعيون غائرة وملامح قاسية وصلبة دلالة التسلط والجبروت. توقعت ان تنفر من الشخصية الشديدة البأس للمركيز الجديد الذي أمر نارسيسكا بالقدوم الى هنا لتنفيذ أوامره كونه الوصي عليها وأيضاً كلمات نارسيسكا قد ساعدت بتعزيز هذه الصورة داخل خيال لوتشيا. لكن ما رأته كان يناقض تماماً كل هذه الصور. هناك أمام النافذة الزجاجية الكبيرة والتي تطل على الحديقة الرائعة وعلى مساحات الأرض الشاسعة المحيطة بالقصر والعائدة الى مالكه كان يقف رجل طويل القامة قوي الجسد عريض المنكبين بوجه كوجوه آلهة الاغريق القدامى. شعر أسود قاتم، جبهة عريضة، بشرة برونزية، عيون سوداء واسعة برمش كثيف معقوف وحواجب مستقيمة، أنف دقيق شامخ

وجنتان دقيقتان وفم ممتلىء الشفاه فوق ذقن بوسطها غمازة واضحة. العيون السوداء الخارقة والناقدة تركزت عليها فور دخولها وشعرت لوتشيانا بقوة وبأس صاحب هذه النظرات القادرة وللحظة أحست ان هذا الرجل يشكل فعلاً تهديداً لسعادة نارسيسكا لأنها أدركت انه اذا صمم على القيام بأمر ما فلن يثنيه عن ذلك أية قوة أرضية.

«تسرني جداً رؤيتك ابنة العم نارسيسكا» قال المركيز وهو يقترب منها بخطى واثقة وثابتة.

«شعور متبادل» قالت لوتشيانا بأدب والوجل داخلها يجعل أنفاسها لاهثة.

مدت له يدها لأنه قد فعل هذا أولاً وحالما أمسك بيدها شعرت لوتشيانا بقوة أصابعه، شعرت بانزعاج أنه كان يحجزها بقفص ما وأنه سيكون من الصعب جداً عليها الفرار لاحقاً.

«هل كانت رحلتك جيدة؟».

«أجل شكراً لك» أجابت لوتشيانا:

«سيارتك كانت مريحة جداً ولم تستغرق الرحلة وقتاً طويلاً».

«تعالي واجلسي» اقترح:

«وهل ترغبين بتناول شيئاً من الشراب؟».

«كلا، شكراً لك».

«سيتم تجهيز الغداء بعد ساعة تماماً» قال وهو ينظر الى ساعته:

«أنا متأكد انك ترغبين باكتشاف المكان هنا بهذه الأثناء بما انك لم تشاهديه منذ سنوات وسنوات».

«أجل بالطبع» وافقته لوتشيانا.

بسبب شعورها بالخجل لقيامها بخداع أحدهم للمرة الأولى في حياتها فقد وجدت من الصعب جداً لها تحمل النظر الى وجه المركيز.

لكنها كانت تشعر بحدة ان عيون المركيز كانت على وجهها وكأنه لم يكن فقد يدرس ملامحها الخارجية بل يتعمق الى داخلها وكأنه قد شك بأنها ليست الفتاة التي تدعي انها هي.

لكنها نفضت عنها هذه الأفكار وقالت انها تفكر بسخف وعدم واقعية.

هي بنفس عمر نارسيسكا ولهما نفس القامة ولم يشاهد أي شخص من آل فلوتشيانو ولا من الأشخاص القاطنين هذا القصر نارسيسكا مذ كانت في سنتها الأولى. فلماذا اذن يشك أي أحد ولو للحظة انها ليست نارسيسكا فلوتشيانو.

«آسف لموت جدتك» جاءها الصوت الحازم الواثق:

«أنا لم أكن في اليونان حين توفت وقد علمت بذلك منذ أسبوعين فقط حينها أرسلت لك الرسالة تلك لعلمي انك أصبحت وحيدة في هذا العالم».

لم ترد لوتشيانا بشيء. اكتفت فقط بهز رأسها وعقلها يخبرها ان معرفته بموت جدة نارسيسكا توافقت مع معرفته بأمر الثروة الهائلة التي هبطت على الأخيرة.

وبما انه كان ينتظر منها رداً ما فقد قالت بعد فترة صمت وبصوت خافت:

«لقد كنت في سويسرا. . . عند بعض أقارب جدتي».

«سويسرا؟» استفسر المركيز:

«لم أتوقع ان يكون ابتعادك عن اليونان لهذه الدرجة».

www.elromancia.com

«أنا معتادة على السفر وزيارة أصدقاء جدتي وأقاربها».

«وكيف وجدت سويسرا؟» سألها.

«جيدة وساحرة» قالت بعد لحظة ثم تابعت لتغيير الموضوع كونها لم تشاهد ولا حتى أي صور عن سويسرا:

«لطالما سمعت من جدتي عن عظمة وروعة هذا القصر، لكنه أروع وأكبر وأكثر تأثيراً عما توقعت».

ابتسم المركيز وظهرت أسنانه البيضاء الجميلة ولانت ملامحه وفكرت لوتشيانا انه لم يتجاوز العقد الثالث من عمره بعد وهي التي كانت تعتقده عجوزاً في خمسيناته.

أعادها صوت المركيز الى الواقع وسمعته يقول:

«هذا هو نفس شعوري حين شاهدت هذا القصر لدى عودتي من قبرص لاستلام زمام العائلة».

تردد قبل ان يتابع:

«تدركين الآن انني الوصي عليك فأنت في العشرين من العمر فقط وأمامك سنة كاملة قبل ان تبلغي السن القانونية نارسيسكا، وبوصفي الوصي عليك فقد رتبت بعض المخططات لمستقبلك والتي سنناقشها لاحقاً من هذا اليوم. أنا واثق انك الآن ترغبين بتبديل ملابسك استعداداً للغداء».

«أجل، بالطبع» قالت لوتشيانا بسرعة وعيونها تبتعدان عنه.

سار المركيز معها الى باب احدى الغرف وقال:

«هذه ستكون غرفتك أنا متأكد انها ستعجبك سأرسل بطلب السيدة ماريا المربية لتساعدك على تبديل ملابسك سأكون بانتظارك على مائدة الغداء بعد نصف ساعة بالضبط».

«شكراً لك» قالت بابتسام ودخلت الغرفة وشعور من الارتياح يسيطر عليها لابتعادها عن المركيز.

الغرفة كانت رائعة فعلاً وحظيت على اعجابها منذ اللحظة الأولى التي شاهدتها بها، الغرفة كانت واسعة جداً بسرير ضخم نحاسي في وسطها عليه غطاء من الدنتيل الأبيض المطرز بالخيوط الذهبية. لون الغرفة كان ذهبياً والمرآة الضخمة لطاولة الزينة كانت تعكس كل موجودات الغرفة من الخزانة البيضاء الضخمة ذات الأبواب الممتدة حتى السقف والكرسيين الذهبيين المفروش بينهما سجادة من جلد النمر. الطاولة التي كانت تتوسط الكرسيين كانت من العاج الأبيض وعليها ساعة صغيرة وصورة لرجل وامرأة حامل وطفل في السابعة من العمر.

أمسكت لوتشيانا الصورة وأخذت تحدق بها بتمعن هذه هي عائلة نارسيسكا والدتها كانت لها نفس عيون لوتشيانا الزرقاء الواسعة لكن التعب كان واضحاً على محياها وكأن ملاك الموت يهيؤها للصعود الى السماوات العليا بعد ولادتها مباشرة لنارسيسكا التي كانت لا تزال داخل أحشاء والدتها بهذه الصورة. المركيز الأول والد نارسيسكا كان طويل القامة بنفس طول قامة المركيز الحالي لكن ملامحه كانت قاسية وصلبة انعكاساً لعناده وشخصيته. الطفل كان رقيق الملامح وعيونه الزرقاء الواسعة كانا انعكاساً لعيون والدته.

شعور بالذنب اجتاح لوتشيانا وشعرت بشدة ان هذا ليس مكانها وأنها كانت مجرد مخادعة تنتحل شخصية أخرى لا تمت لها بصلة سوى صلة الصداقة والحب العميق. لكن صورة نارسيسكا الضاحكة التي كانت محفورة داخل عقل

www.elromancia.com

لوتشيانا جعلاها تخفف من شعور الذنب هذا وتخرج الى الشرفة الواسعة الخاصة بالغرفة.

الشرفة كانت واسعة وبها كرسي متأرجح وطاولة صغيرة وكانت بدورها تطل على الحديقة الغناء في الأسفل.

تنهدت لوتشيانا بعمق وني تتكىء على الحافة والتفتت بسرعة حين دخل أحدهم الغرفة.

«ابنتي نارسيسكا» قالت السيدة ماريا:

«آمل الا يكون وجودك هنا مصدر ازعاج وحزن لك لقد مر الكثير من الحزن على هذا المكان وحان ان تعود الضحكة والفرح اليه».

«أنا كنت... كنت فقط أفكر بجدتي» قالت لوتشيانا بتلعثم.

«لم يكن هناك امرأة أخرى في العالم مثل الكونتيسة فلورينا» قالت المربية وهي تساعد لوتشيانا اختيار الثوب المناسب للغداء:

«كانت تبدو كالملكة حين تقام الحفلات هنا في القصر. لكن حينها كنت أنا نفسي لا أزال في مقتبل العمر وكنت أعتقد الكونتيسة ملكة اليونان فعلاً».

«لقد كانت سيدة رائعة» وافقتها لوتشيانا بصدق.

«أجل لكن الآن الحزن تمكن من القصر ونأمل فقط ان يكون حضرة المركيز الجديد يحب التسلية والمرح وأن يقيم الحفلات والاحتفالات في قاعات القصر كما كان الحال في الأيام الخوالي».

«يبدو لي ان المركيز جدي جداً وصارم ولن يشجع اقامة الحفلات والرقص لا هنا ولا في أي مكان آخر».

«هذا هو تأثير عمله في الجيش لفترة طويلة فكما تعلمين

هو ابن شقيق المركيز فلوتشيانو وما كان ليعود له أي ارث لو كان... شقيقك لا يزال على قيد الحياة لكن وطبقاً للظروف فقد آلت الممتلكات اليه وأصبح هو مركيز آل فلوتشيانو ولهذا فقد عاد من قبرص بعد ان عمل هناك لمدة عشرة سنوات».

«وما كان عمله؟» سألت لوتشيانا بفضول.

«كان قائداً أو ضابطاً في الجيش! لا أعرف الرتبة بالضبط لكنه معتاد على اصدار الأوامر وعلى الانضباط والصرامة وأيضاً رغم القسوة التي يظهر بها فهو رجل شريف وعادل أتعرفين لقد اكتشف منذ عودته ان العديد من رؤساء العمل والمسؤولين عن المزرعة وعن شؤون القصر وعن الأراضي والمحاصيل لا يسيرون على الصراط المستقيم وأنهم كانوا يمتصون دم المركيز السابق ويكذبون ويتلاعبون بالحسابات وبالأرقام. فنصف ايراد المحصول كان يدخل جيوبهم والنصف الآخر فقط يعود الى المالكين الحقيقيين. فهناك السيد ألفونسو كارلوتشو المسؤول الاداري عن المزرعة لقد أصبح من الأغنياء بعد ان عمل عند والدك لمدة خمس سنوات فقط وقد كشفه المركيز كارلو وطرده شر طردة وجرده من كل ما حصل عليه من جراء السرقة والغش والآن كل المدراء الباقين يحسبون له ألف حساب وعملية التنظيف هذه لا تزال مستمرة وكل يوم يغادر المركيز القصر في الصباح ولا يعود الا في المساء لقد سمعته لعدة مرات يقول انه سيعيد الأمور الى نصابها ويعاقب كل غشاش مخادع. من الواضح انه قد يتغاضى عن أي شيء الا عن الغش والخداع».

«طبعاً، طبعاً» علقت لوتشيانا وقلبها ينتفض كونها واحدة

www.elromancia.com

من هذه المجموعة الآن.

«ومن الواضح أيضاً انه مغرم بالتنظيم والترتيب فوضع القصر والممتلكات قد انتظم رغم انه لم يمض على وجوده هنا سوى وقت قصير. شخصيته قوية وقادرة وحين يقرر أمر ما فهو سينفذه وسيصل الى مبتغاه حتى ولو وقفت كل شياطين الأرض بوجهه».

«لقد شعرت بهذا أنا بدوري» قالت لوتشيانا موافقة وهي ترتدي ثوباً حريرياً أسود اللون تناسب تماماً مع شعرها ولون عينيها.

«أشعر بالتحسر كلما نظرت اليك يا ابنتي» قالت المربية بحزن:

«بعد وفاة ساندرو لم يستطع المركيز الأول تحمل الأمر والتأقلم مع خسارته لابنه البكر وكنت دائماً أتمنى ان تعودي انت الى هنا لتخففي عنه. فرغم كل شيء هو كان والدك من دمك ولحمك».

«لم يلمح لي أي أحد ان علي العودة للتخفيف عنه» قالت لوتشيانا بعد تفتيشها عن الكلمات المناسبة للرد على التأنيب الخفيف الذي كان يغلف كلمات المربية.

«كل هذه المشاجرات والنزاعات بين العائلات هو أمر خاطىء تماماً، يا ابنتي، ما كان يجب ان يحدث الانفصال والخصام مهما كان السبب».

«أنا أوافقك الرأي» قالت لوتشيانا.

«الآن وقد عدت آنستي ومع ان والدك في السماء الا انني أشعر بقوة انك ستساعدين المركيز الجديد على اعادة تصليح كل شيء».

فتحت لوتشيانا فمها لتقول انه من الواضح جداً ان

المركيز الجديد واثق بنفسه جداً ومكتفي ولا يحتاج لمساعدة أي شخص آخر الا انها عادت وفضلت الصمت وتشاغلت بتصحيح وضع ثوبها وشعرها.

كلما فكرت أكثر به، كلما ازدادت اقتناعاً انه رجل مرعب، ليس بالطريقة التي وصفتها نارسيسكا لكنه كان قادراً على تنفيذ أي أمر يرغب به وجل ما كانت تخشاه لوتشيانا ان يجبرها على الزواج من أحد الرجال الآن وقبل ان تتمكن من الرحيل بعد اتمام مخططات نارسيسكا بالزواج من جيوفاني.

هو دون شك سيختار لها أحد أفراد آل فلوتشيانو الفقراء حتى تبقى الثروة في العائلة وأدركت انه اذا فعل فسيكون أمامها خيارين اما الهروب وبالتالي هذا سيؤدي الى كشف مخطط نارسيسكا قبل الأوان وقبل ان تتمكن من الزواج من حبيبها جيوفاني أو مجاراته والقبول بخطوبة ستسعى لأن تجعلها طويلة الأمد لحين يصلها الخبر من نارسيسكا وتتمكن بعدها من الفرار دون ان يؤدي هذا الى تعاسة نارسيسكا.

«تبدين كاللوحة آنستي» قالت السيدة ماريا بإعجاب:

«فكري بالاستمتاع بوقتك وأنت هنا وسنستمتع نحن بوجودك بيننا وسيكون الجميع سعداء».

كانت السيدة ماريا تتحدث وهي تواكب لوتشيانا الى غرفة الجلوس وكانت نظراتها تنتقل الى هناك فيما لسانها ينطق بالكلمات فأدركت لوتشيانا انه حتى المربية تخشى من المركيز وتساءلت لماذا؟؟.

أسرع رئيس الخدم بفتح باب الغرفة لها ودخلتها وهي بكامل أناقتها وسحرها وشعرها الأسود الرائع مرفوع فوق

www.elromancia.com

رأسها بتسريحة فرنسيه أنيقة. سمعت أصوات ورأت ان المركيز لم يكن بمفرده فبجانبه كان يقف شاب معتدل القامة يرتدي بزة رسمية وربطة عنق حريرية فاخرة، شعره البني، كان مصففاً بعناية وعيونه العسلية تركزتا عليها وهي تقترب منهما.

«دعني أقدم لك ابنة عمي الآنسة نارسيسكا فلوتشيانو - سمو اللورد فرناندو بيرغن».

بدهشة انحنت نارسيسكا بتحية وتحدث اللورد بلغة يونانية ممتازة:

«تشرفني مشاركتي للغداء معك، آنستي».

«لم تأت ابنة عمي الى هنا مذ كانت طفلة رضيعة» شرح المركيز:

«وهي تجد القصر مؤثراً جداً مثلي تماماً».

«لا شك ان وجودك هنا يعتبر تغيراً جذرياً عن حياتك في الجيش في قبرص» علق اللورد.

«هذا صحيح جداً بالفعل» أجاب المركيز:

«لكن لكل نمط حياة حسناته وسيئاته».

تتابع الحديث بين المركيز واللورد وفهمت منه لوتشيانا التي ظلت مجرد مستمعة ان اللورد يملك احدى أكبر مزارع المنطقة وأن له شأناً كبيراً بين الطبقة الارستقراطية هنا في أولمبيك لكن دوماً كان الرجلين يلفظان كلمة (مشكلة) ولم تعرف لوتشيانا ما هي طبيعة هذه (المشكلة) الخاصة باللورد وأيضاً تساءلت عن سبب وجوده هنا الليلة.

ورغم ان الحديث بين الرجلين كان مطولاً وموسعاً الا ان عيون اللورد كانت تتركز عليها بين الحين والآخر وبشكل واضح كأنه يمتعض من عدم تمكنها من مشاركتهما

الحديث.

طوال فترة الغداء الذي تلا كان اللورد يرمقها بنظراته ويحاول حثها على تناول هذا النوع أو ذاك كدلالة على اهتمامه بها وتقبلت لوتشيانا ذلك بابتسامة خجولة وعيونها تذهب الى المركيز كارلو الذي كان يبتسم برضى كامل على محاولات اللورد للتقرب من ابنة عمه المزعومة.

عرجوا بعد الغداء الى غرفة الصالون الفاخرة حيث أحضر الخدم لهم الشراب.

«أين كنت تقطنين آنسة فلوتشيانو قبل مجيئك الى هنا؟». سألها اللورد برقة.

«لقد ترعرعت في ماغرولايا» وهي بلدة صغيرة في ضواحي... لكني كنت أقضي الكثير من الأوقات في سويسرا وايطاليا عند أقارب جدتي وأصدقائهما».

«وكيف وجدت المكان هنا؟».

«في الواقع لم يتسن لي الوقت للإلمام بكل شيء هنا لكن القصر رائع الجمال وساحر والحديقة أيضاً كذلك. لا أعرف الكثير عن الحياة هنا كون وصولي لم يكن منذ مدة طويلة».

«أتمنى ان تعجبك الحياة هنا آنسة فلوتشيانو فهذا أمر سيساعدني كثيراً».

لم تفهم لوتشيانا قصده من كلمته هذه وظنت انها لم تسمعه جيداً وقبل ان تسأل أي سؤال كان المركيز هو الذي تكلم.

«نارسيسكا معتادة على الحياة المرفهة والحياة هنا هادئة ومريحة وأيضاً أثينا ليست ببعيدة من هنا وبالإمكان الوصول اليها بوقت قصير».

www.elromancia.com

«اذن انت تفضلين السكن في المدينة على السكن في القرية؟» سألها اللورد.

«في الواقع لا، أنا أفضل حياة الهدوء والطبيعة وأيضاً أهتم كثيراً بالاعتناء بالحدائق فجمال الطبيعة يسحرني وقد أقضي الساعات وأنا أستمتع بالنظر الى لوحة طبيعية دون ان أشعر للحظة بالملل».

«هل ترسمين؟» سألها المركيز.

«أجل... قليلاً» اعترفت وقد بدأ التوتر يسيطر عليها لتحدثهم بأمور خاصة بها فتابعت:

«القصر هنا يحتوي على العديد من اللوحات الرائعة مثل لوحة رامبرانت هذه».

تتابع الحديث لحسن حظها حول اللوحات والرسامين وبعد حوالي الساعة استأذن اللورد الشاب للذهاب.

قبل يد لوتشيانا وأبقاها بين يديه للحظات أحستها لوتشيانا طويلة جداً وحين نظرت الى وجه المركيز رأت عيونه تلمع لسبب تجهله فابتسمت للورد مودعة وسمعته يقول:

«سنلتقي قريباً آنسة فلوتشيانو وأنا سأنتظر ذلك بصبر».

حالما غادر اللورد فرناندو المكان استدعاها المركيز الى غرفة المكتبة. فسارت خلفه ونبضات قلبها تتسارع تحسباً لما سيقوله لها.

دون أية مقدمات وحالما جلسا بادرها المركيز بالسؤال:

«كيف وجدت اللورد؟».

استغربت السؤال وقالت:

«انه... انه يبدو شاباً جيد».

«انه جيد جداً وخاصة لك انت».

تصلبت مفاصل لوتشيانا وسألته بعد لحظات بصوت جاف:

«خاصة لي أنا؟... لماذا؟».

«لماذا؟» قال المركيز باستغراب:

«لأنه سيكون زوجك المستقبلي».

رفعت لوتشيانا عيونها بذهول الى وجه المركيز وقالت:

«زوجي... المستقبلي... أنا لا أفهم».

«دعيني أشرح لك» قال المركيز بثقة وهو يتناول سيجاراً من جيبه ويشعله:

«بوصفي الوصي عليك فقد تدبرت لك أمر الزواج من رجل مرموق مهم وثري جداً وهو اللورد فرناندو بيرغن».

بدأ الغضب يغلي داخل عروق لوتشيانا:

«انت تدبرت لي... هذا الزواج حتى... حتى بدون ان تسأل... عن موافقتي على ذلك؟».

«لا أصدق انك قد تعترضين على اللورد بيرغن!».

صوته كان يعكس دهشته الصادقة فردت لوتشيانا بسرعة:

«لكن بالطبع أعترض! هل تعتقد انني أو أية امرأة أخرى سترغب بالزواج من رجل لم تقابله الا مرة واحدة ولم تتحدث معه الا للحظات قليلة؟».

حدق المركيز بها كأنه لا يصدق ما يسمعه منها ثم قال:

«لم أتخيل مطلقاً انك لن تكوني مسرورة بحصولك على لقب للكونتيسة».

«ولماذا لم تتخيل ذلك؟ لربما انت لا تعرف ذلك بعد لكن للنساء مشاعر وأحاسيس كباقي المخلوقات».

ظل المركيز صامتاً للحظات طويلة كأنه يجد صعوبة

www.elromancia.com

بإيجاد الكلمات المناسبة. ثم قال:

«لربما كنت مخطئاً، لكني أعرف كما يعرف الجميع ان زيجات الفتيات الشابات تتم عن طريق الأهل. الوالدان يختاران لابنتهما الشابة العريس المناسب ثم يتمان بعد هذا مراسيم الزواج التقليدية دون ان تعترض الفتيات على ذلك».

أدركت لوتشيانا بانزعاج ان ما يقوله كان الحقيقة خاصة في القرى وضمن العائلات العريقة المحافظة.

جيوفاني قد تزوج بهذه الطريقة وكل الفتيات في القرية تتزوجن وفق ترتيبات الأهل. وحتى نارسيسكا نفسها لم تأت الى أولمبيك لنفس هذا السبب حتى لا تجد نفسها مجبرة على الزواج من رجل يختاره لها الوصي عليها.

وأدركت لوتشيانا ان عليها المحاربة ليس فقط لأنها ليست نارسيسكا الحقيقية بل لأن والديها ربياها على ان تكون لها شخصيتها ورأيها الخاص. ولطالما هي كرهت ونفرت من فكرة الزواج بهذه الطريقة حتى ولو تقدم أي شخص لها هي لوتشيانا الفقيرة المعدمة لما قبلت ان تتزوجه بهذه الطريقة.

وأدركت ان نارسيسكا كانت محقة بوصف آل فلوتشيانو بالقساة المتسلطين الراغبين بفرض رأيهم وأدركت أيضاً ان كلمة (المشكلة) التي كان يتداولها المركيز مع اللورد كانت تعني المشكلة المادية فهما كانا يتحدثان عن المشاريع والأعمال التي سيقوم بها اللورد لمصلحة المنطقة بعد حل المشكلة. ولهذا فقد دبر المركيز أمر زواج اللورد فرناندو بيرغن لابنة عمه الثرية جداً.

المركيز كان يحدق بها بحيرة وذهول ثم قال بصوت

هادىء:

«لربما قد أخطأت بطريقة مفاتحتي لك بالموضوع. لكن دعيني أؤكد لك ان اللورد شاب ساحر ولطيف جداً وأنا أعرفه جيداً».

«وأفترض انه بحاجة للمال!».

«بالطبع» وافقها المركيز:

«ورغم ثرائه الا ان السيولة المادية قليلة نوعاً ما لديه وهو بحاجة لمبلغ كبير من المال لتحسين وضع الفلاحين والعمال في قريته وهو يريد القيام بالعديد من الاصلاحات النافعة للقرية والتي تحتاج لمبلغ كبير من المال وأنا لا أفكر نارسيسكا بطريقة أفضل لك لصرف ثروتك عليها».

ظلت لوتشيانا صامتة فتابع المركيز:

«يريد ان يفتتح مدرسة جديدة ويوسع القديمة وكذلك هم بحاجة لتوسيع المستشفى وتجهيزها بالكامل وأنا واثق انك ستسرين كثيراً بهذا».

«سأسر بالزواج من رجل لا أعرفه؟» استفسرت لوتشيانا.

«لقد قلت لك انه جيد ولطيف».

«هذا هو رأيك الخاص» قالت:

«لكن ليس انت من سيعيش معه طوال العمر في مكان غريب مع اناس غرباء».

«ستعتادين عليهم وهم سيكونون لطفاء معك».

«لربما سيحصل هذا اذا ما رغبت أنا نفسي بذلك» قالت:

«لكن دعني أوضح لك أمراً سيدي الوصي، لا نية عندي بالزواج حالياً وبالطبع ليس لرجل لا أعرفه ولم يسبق لي مشاهدته من قبل».

«هذا سخيف نارسيسكا!» قال بحيرة:

«من الخطأ لك اتخاذ مثل هذا الموقف. لقد اعتذرت لاستباقي الأمور لكن عليك الادراك ان عليك الزواج آجلاً أم عاجلاً ولا رغبة لدي برؤية صيادي الثروة يحومون حولك».

«أوليس اللورد واحداً منهم؟» ردت بحدة.

الغضب بدوره بدأ يظهر على المركيز الذي التمعت عيونه وتقلصت وارتفعت ذقنه دلالة على التصميم والعناد المعروف عن آل فلوتشيانو.

التوتر والتصلب سيطر على الجو بينهما وهما يقفان بتحدي كل أمام الآخر ولكن نظراً لطول قامته وضخامة كتفيه فقد شعرت لوتشيانا بالضعف.

لكن معرفتها انها لم تكن نارسيسكا الحقيقية وأن بإمكانها المحاربة بقوة عن مبادئها وأفكارها أعطتها القوة والشجاعة لمتابعة الجدال والتشبث برأيها حتى النهاية. فحين يعرف اللورد انها لوتشيانا الفتاة الفقيرة فلن يرغب بالزواج منها ولا للحظة.

«برأي» قالت:

«انه من الخطأ جداً ان تباع المرأة وتشترى كأنها مجرد سلعة أو مجرد صفقة تزان بها الفوائد والخسارات. كما سبق وأخبرتك للنساء مشاعر وأحاسيس وأنا شخصياً لن أتزوج أي رجل، مهما كان مهماً أو ثرياً الا اذا... اذا أحببته و... هو أحبني».

«انت تذهليني» قال المركيز:

«واذا حصل ذلك فكيف ستعرفين بامتلاكك لهذه الثروة اذا ما كان الرجل هذا يحبك لذاتك وليس لمالك

وثروتك؟».

صمتت لوتشيانا للحظات ثم قالت:

«أعتقد ان الحب... الحب الحقيقي... لا يمكن اخفائه أو التظاهر به! واذا لم يكن الشخص غبياً وسطحياً فهو سيعرف الادعاءات الكاذبة الوصولية من الكلمات الحقيقية النابعة من القلب».

لم يجد المركيز رداً فورياً فسار نحو النافذة وأخذ ينظر الى البعيد.

امتدت فترة من الصمت بينهما قطعها المركيز بقوله:

«أفترض انه بسبب جهلي لأمور الفتيات الشابات، نظراً لعدم احتكاكي بهن فأنا لم أتوقع للحظة انك ستعارضين قراري بما هو خير لك. في الحقيقة اعتقدت انني كنت أسديك خدمة العمر».

«خدمة تعتبر في الحقيقة اهانة لذكائي».

«لطالما اعتقدت انه حين تتخرج الفتيات الصغيرات من المدرسة فهن يكن ساذجات وبسيطات» قال:

«لكن من الواضح انك لست ساذجة ولا بسيطة».

«انت لم تقابل جدتي لكنك دون شك قد سمعت عنها» قالت لوتشيانا:

«الخدم هنا لم ينسوها أبداً وأؤكد لك ان الحياة معها أفضل من الدراسة في أفضل المدارس والجامعات».

ضحك المركيز قليلاً وقال:

«الآن عرفت لماذا ومنذ عودتي يعود الجميع الى الخلاف القائم بين والدك وجدتك وكأنه ملحمة العصر».

«هذا ما كان الوضع بالنسبة لهم» قالت:

«لقد تركت المكان مقسمة انها لن تعود اليه أبداً وقد

كونت حياة جديدة لها في مكان آخر».

«وبما انك قد ذهبت معها فأفترض انك قد ورثت منها القوة والعناد» علق المركيز.

«أنا آمل ذلك بشدة» أجابت لوتشيانا بصدق.

امتدت فترة من الصمت قبل ان يقول المركيز:

«انت في أوائل العشرينات نارسيسكا ومهما كان تعليمك كبيراً فقد توفت جدتك الآن وأنا هو الوصي عليك ويجب عليك اطاعتي».

«واذا رفضت ان أفعل ذلك؟».

«سيكون علي ايجاد السبيل المناسب، رغم عدم رغبتي بذلك، لإجبارك على الاعتراف بسلطتي».

ابتسمت لوتشيانا باحتقار.

«وماذا تقترح؟» سألت:

«ان تحبسني في الزنزانة أم انك ستجوعني أو تضربني للحصول على خضوعي؟ أم انك ستجرني وأنا أصرخ الى الكنيسة؟».

كانت تتكلم بسخرية لكن صوتها الرقيق الموسيقي لم يبدو عدائياً كما أرادته.

مجدداً استمر الصمت ثم قال المركيز:

«أظن ان الأمر أبسط من ذلك. أنا بكوني وصيك فأنا لي الحرية بالتصرف بمالك وصرفه الى ان تبلغي الواحد والعشرين من العمر».

فكرت لوتشيانا برعب ان ما يقوله هو الحقيقة وخشيت ان ينفذ وعيده ويحرم بالتالي نارسيسكا من تمكنها من سحب المال الذي تحتاجه من المصرف. فكرت بماذا تقول للمركيز لكنها أدركت ان له هو الكلمة الأخيرة بهذا

الأمر وأنه كان يشعر بارتباكها.

أكرهه، فكرت وبنفس الوقت أدركت انه قد تغلب عليها بما قاله وأن عليها ان تكون حذرة جداً جداً بتعاملها معه حتى لا تؤذي مصالح نارسيسكا.

«أعتقد نارسيسكا» جاءها صوت المركيز:

«أننا كلانا قد استبقنا الأمور بهذا الشأن وأننا تسرعنا بسحب الخناجر على بعضنا البعض دون التفكير بمن سيتأذى بهذه العملية».

نظرت لوتشيانا اليه دون ان تنبس ببنت شفة فتابع:

«هل نبدأ من جديد؟ سأعتذر عن التصرف بتسرع وسأطلب منك التفكير بعرضي بدون ان تشعري بالارتباط بأي وجه من الوجوه».

أدركت لوتشيانا انه يعلن الهدنة لادراكه انه هو من سيربح المعركة بالنهاية ولكن نظراً لضروريات الموقف فسيكون عليها قبول غصن الزيتون لحين تتاح لها الفرصة للتحلل من وعدها لنارسيسكا دون ان يؤثر هذا على مستقبل صديقتها وسعادتها.

«لقد فاجأتني وأخذتني على حين غرة ولكن لربما اذا استطعت اعتبار عرضك والتعرف أكثر على اللورد... فلربما قد أفكر... بطريقة مختلفة».

حالما انتهت من التحدث وجدت ان المركيز كان يبتسم بطريقة راضية.

«بنفس الوقت» قالت بسرعة:

«يجب ان تعرف ان جدتي لم تتوف منذ فترة طويلة وأنني لا أزال في فترة حداد عليها وسيكون من المستحيل علي التفكير بالزواج لفترة أشهر».

ظهرت تقطيبة على جبين المركيز وأدركت انه لم يفكر بذلك من قبل.

«لا أعتقد» قال:

«ان جدتك سترغب بأن تمتد فترة حدادك عليها لفترة طويلة».

«أعتقد ان طول فترة الحداد لا تتعلق بالشروط الاجتماعية والتقليدية بل ما يحكم هنا هو مدى مشاعر الحب والمودة التي كانت تربطك بالشخص المتوفي» ردت لوتشيانا برقة.

«أتفهم هذا» وافقها المركيز:

«بنفس الوقت نارسيسكا أريدك ان تفكري بالعمل الخيري والجيد لاستغلال ثروتك وبالناس الذين سيستفيدون من كرمك والسعادة الحقيقية التي ستشعرين بها مع رجل معروف ولطيف المعشر».

«سأفكر بهذا دون شك» أجابت لوتشيانا.

مد المركيز يده اليها وقال:

«هذا كل ما أرغب بسماعه في هذا الوقت هل نتصرف كأصدقاء؟ نحن حقاً لا نستطيع ان نبدأ حرباً جديدة بين آل فلوتشيانو».

مدت لوتشيانا يدها اليه بمصافحة ودية ومجدداً شعرت بقوة أصابعه وشعرت انه كان يسحبها ويجذبها وأن عليها مقاومة هذا الانجذاب وإلا فإن النتائج ستكون قاتلة.

صعدت لوتشيانا الى غرفتها بعد هذه المحادثة وأخذت تفكر بأنها قد أبعدت قليلاً فكرة الزواج السريع عن تفكير المركيز لكنه دون شك لن يسلم لها بالأمر ويترك لها تحديد الموعد بل دون شك سيحدده هو حين يجد الوقت قد

أصبح مناسباً لذلك انه فعلاً كباقي آل فلوتشيانو عنيد مصمم ومغرم بالتدخل بحياة الآخرين وتفصيلها على ذوقه الخاص. لكن لا لوتشيانا لن تسمح له بفعل هذا لها حتى ولو كان يعتبرها نارسيسكا ابنة عمه والمسؤولة منه اتجاه القانون والناس.

جلست على الكنبة في غرفتها وأخذت تخط رسالة الى والدتها فكتبت:

«والدتي الحبيبة.

لكم أنا مشتاقة لك وأنتظر بلهفة لقائي بك الذي آمل ان يكون قريباً جداً، كيف حالك أدعو الله ليل نهار ان يأخذ بيدك ويعيد اليك الصحة والعافية حتى حين أعود أراك قد تعافيت وعدت الى طبيعتك مودعة الألم والتعب فأنت كل ما تبقى لي في هذا العالم وأدعو الله ان يطيل عمرك ويبقيك الى جانبي.

ما هي أخبار نارسي آمل ان تنفذ ما وعدتني به قريباً لأن الأوضاع كما تصورتها أخبريها انت بهذه وستفهم هي ما أقصده.

أتمنى ان تكون اقامتك في القصر مريحة. أنا هنا مرتاحة وأتابع الدروس وفق الجدول المحدد وحين أعود سأكون الفنانة الكبيرة وسأقوم برسمك كأول لوحة لي.

قبلاتي الحارة لك وأمنياتي بالصحة. بلغي نارسي تحياتي وحبي وأمنياتي لها بأفضل وأجمل أيام.

ابنتك المشتاقة

لوتشيانا كابرو».

قبلت لوتشيانا الرسالة ووضعتها داخل المغلف ثم نزلت ووضعتها في صندوق البريد على مدخل حديقة القصر.

حين عادت كانت ساهمة وهي تفكر بوالدتها وتتمنى ان تعود الى حالتها الطبيعية وكانت متأكدة انها مع العناية والراحة فسيخف مرضها كما أخبرها الطبيب ميكايل، دخلت القصر والأفكار لا تزال تسكن عقلها حين وجدت المركيز يقف قرب نافذة غرفة الجلوس وينظر اليها باستغراب.

«نارسيسكا لقد رأيتك دون تعمد تضعين رسالة ما في صندوق البريد» قال باستفسار:

«الى من ترسلين الرسائل؟».

شعرت لوتشيانا بالخوف للحظات الا انها عادت واستجمعت قوتها فهو دون شك لن يعرف ان الرسالة موجهة الى والدتها سعلت قليلاً وقالت:

«هناك صديقة لي في أثينا وهي بمثابة شقيقة لي أطلعها دوماً على اخباري حيثما أكون».

«وهل لي ان أعرف ماذا أخبرتيها هذه المرة؟» سأل المركيز بفضول.

«لا شيء مهم فقط عن القصر والحياة هنا».

«وهل وصفت لها الغول المسمى وصي عليك وكم هو متسلط وقاسي بما انه من آل فلوتشيانو الكرام؟». سألها بإغاظة.

«سأكون قليلة التهذيب اذا ما نعت مضيفي بهذه الصفات بينما أنا هنا في ضيافته وتحت جناحه» قالت وهي تختار كلماتها بانتباه.

«كلامك لا ينفي انك قد تعتبرينني بالصفات التي ذكرتها لك».

بماذا أجيبه الآن؟ قالت لوتشيانا بنفسها وبصوت عالي

قالت:

«أنا لا أكون الآراء حول الآخرين بسرعة وبفترة قصيرة الا بعد ان أعاشرهم لفترة طويلة نسبياً وأعرف كل شيء عنهم. أحكامي لا تصدر عشوائياً».

ظهر الاستغراب على وجه المركيز لكلماتها الدالة على النضج والذكاء وقال:

«كنت أعتقد ان الفتيات الشابات يحكمن وفقاً لمظهر الآخرين الخارجي فقط».

«يا لكثرة ما تعرفه عن الفتيات الصغيرات سيدي الوصي، من الواضح ان معلوماتك في مجال... النساء شبه منتفية».

شعرت بالخجل فور نطقها بكلماتها فلم يكن يحق لها التطفل وأيضاً الحديث بدأ يأخذ منحنى شخصي لا ترغب بتطويره. لكن الكلمات قد نطقت واضطرت لرفع عينيها الى وجه المركيز لتشاهد رد فعله. لدهشتها بدا هو مرتاحاً وغير منزعج من هكذا استفسار مرت فترة من الصمت وهو ينظر بعيداً عبر النافذة قبل ان يقول:

«كلامك شبه صحيح فالحياة في الجيش تعني الابتعاد معظم أيام السنة عن الناس والنساء لكن في أيام العطل كنا نذهب الى المدن القريبة ما حيث نقضي وقتنا في الحانات والمقاهي وهناك نقابل نوع واحد من النساء... تعرفين ما أعنيه بالضبط».

اكتفت لوتشيانا بهز رأسها موافقة وحمرة الخجل تلون وجنتيها.

في حين تابع المركيز قائلاً:

«وقد تعرفت على بعض النساء و... أقمت علاقات

معهم لكن وضعي كمجند في الجيش أتنقل من مكان لاخر وفقاً لأوامر رؤسائي كانت تمنعني من التفيكر جدياً بأي من هذه النساء وهكذا معلوماتي بهذا الشأن تكاد تكون بشبه معدومة».

صمت ثم تابع:

«والآن تحضري للعشاء لأن اللورد سيأتي لتناول العشاء معنا».

«حسن» قالت وصعدت الى غرفتها وهي تشعر انه يراقبها وهي تقفز السلالم بخفة نحو الطابق العلوي.

- ٢ -

صباح اليوم التالي نهضت لوتشيانا باكراً وكانت صممت على قضاء فترة الصباح بالرسم تناولت أشياءها وألوانها ثم ارتدت ثوباً بسيطاً رمادي اللون ونزلت لتناول الفطور قبل الذهاب. لقد شاهدت من نافذة غرفتها بقعة زرقاء قريبة من القصر لا شك انها بحيرة طبيعية صغيرة وحتى رغم المسافة البعيدة فقد كانت لوتشيانا متأكدة ان المكان هناك لا شك ساحر الجمال.

المربية ماريا كانت في غرفة الجلوس حين نزلت لوتشيانا وبادرتها بالقول رداً على تحيتها:

«صباح الخير آنستي لكم أرغب برؤيتك كل يوم لكن كما ترين لقد أصبحت عجوزاً وبحاجة للراحة».

«وهل ترتاحين في مكان آخر غير القصر أنا لم أشاهدك

www.elromancia.com

منذ أيام».

«أنا أملك منزلاً صغيراً في طرف التلة الآخر أذهب اليه حين أشاء وحين تحضر ابنتي الوحيدة وزوجها الى أولمبيك يبقيان فيه. المركيز رجل لطيف رغم صرامته ويشعر مع العجائز والضعفاء».

«وأين تقطن ابنتك؟» سألت لوتشيانا باهتمام.

«في القرية المجاورة وتدعى نيمبوس لها ولدين كاسترو وانطوني وهما عفريتين صغيرين يقيمان الدنيا ولا يقعداها حين يأتيان لزيارتي».

«هكذا هم الأطفال» قالت لوتشيانا وذكرى الفترة التي قضتها في التدريس تعود لتتمثل أمامها.

«هذا صحيح أخبريني يا ابنتي ماذا ترغبين ان تتناولي على الفطور؟».

«فقط بعض الحليب والجبنة فعندي عمل كثير اليوم» قالت لوتشيانا بمرح.

«عمل؟ أي عمل؟» استفسرت المربية بدهشة.

أشارت لوتشيانا الى الألوان وطاولة الرسم وقالت:

«سأذهب للرسم قرب البحيرة الصغيرة غربي القصر».

«حقاً لكن المسافة طويلة ومن الأفضل الا تذهبي الى هناك بمفردك».

«لا أبداً، المسافة قصيرة وأنا حين أرسم أرغب بالبقاء وحدي فهيا سيدة ماريا سأتناول الفطور وأذهب».

«هل أعلمت المركيز بذلك؟» سألت السيدة ماريا.

«لا، وهل هذا ضروري المكان غير بعيد وهل المركيز هنا؟».

«لا لقد خرج باكراً هذا الصباح لضرورة العمل سأذهب

الآن لأحضر لك طعام الفطور؟».

تناولت لوتشيانا فطورها ثم غادرت باتجاه البحيرة لم تشأ امتطاء الحصان لاعتقادها ان المسافة ليست بعيدة لكن حين وصلت الى المكان المقصود كان التعب قد أخذ منها كل مأخذ وأدركت كم يكون النظر خداعاً فيما يتعلق بالمسافات.

أخذت فترة من الراحة ثم جالت بنظرها على المكان وتبخر تعبها فوراً لسحر وجمال المنظر حولها. البحيرة كانت متوسطة الحجم والشمس تنعكس على مياهها الصافية الكثير من أزهار النرجس كانت تنمو على ضفافها وكذلك الأشجار الورافة كانت تميد بأغصانها فوقها وما زاد المنظر سحراً وروعة وجود بجعتين ضخمتين على طرف البحيرة البعيد. كانتا البجعتين تسبحان بسلام ووئام وشعرت لوتشيانا بكل سعادة العالم تنبض داخلها لرؤية كل هذا السحر.

حضرت ألوانها وافترشت الحشائش وغرقت بنقل المنظر الحي أمامها الى اللوحة التي بين يديها. استغرقت بالعمل ولم تشعر بمرور الوقت وحين بعد وقت طويل نظرت الى السماء وجدت الشمس في وسطها دلالة على انتصاف النهار. نظرت الى ساعتها ووجدتها الواحدة والنصف اذن فموعد الغداء قد حان ولا شك ان المركيز سيغضب الآن لتأخرها. لكن نظرة واحدة الى اللوحة التي كانت بحاجة للرتوش النهائية جعلتها تتناسى كل شيء وتعاود العمل والاستغراق به.

لم تنتبه الا وصوت همهمة خلفها وحين استدارت بذهول وجدت المركيز خلفها ويديه على صدره وعلى

وجهه تعابير الغضب لأول مرة شعرت لوتشيانا بالخوف لرؤيتها له على هذه الصورة.

«أنا... أنا...» بدأت الا انه اقترب منها والتقطيبة تتلاشى تدريجياً عن وجهه وعيونه تحدق باللوحة الرائعة الموجودة أمامه.

«موهبتك بالرسم واضحة تماماً وجلية لكن هذا لن يشفع لك خروجك من القصر دون اعلامي ومجيئك الى هنا بمفردك معرضة نفسك للمخاطر. وهذا ما لن أسمح لك به أبداً نارسيسكا واقسم انك اذا خرجت مرة أخرى الى أي مكان دون اخباريْ فعقابك سيكون شديداً أسمعت سيكون شديداً».

نظرت لوتشيانا اليه بذهول مستغربة كل هذا الغضب منه لأمر لا يستحق كل هذا الغضب.

«لكن... لم كل هذا الـ...».

قاطعها فوراً:

«لا تناقشي ما أقوله نارسيسكا هيا اجمعي الألوان ولنذهب».

«لكن كيف؟» سألت بدهشة.

«حصاني مربوط خلف تلك الشجرة هناك سنعود الى القصر حالاً فاللورد ينتظرنا على الغداء».

تبعته لوتشيانا بصمت ورأته يجمع أدوات الرسم ويضعها بتؤدة وانتباه داخل سرج حصانه قبل ان يمد لها يده بعد ان صعد ليساعدها على الصعود.

«لكن...».

«هيا بسرعة فيكاد صبري ان ينفذ وقد لا أتمكن من ضبط أعصابي لأكثر من هذا».

أعطته لوتشيانا يدها وأصعدها خلفه وأحاطت خصره بذراعيها كونها الطريقة الوحيدة لإتقاء السقوط.

سار الحصان بخطوات بطيئة في البداية ثم متسارعة وتناغمت خطوات الحصان مع تسارع ضربات قلب لوتشيانا. فالتصاقها بالمركيز على هذه الصورة وإحاطتها لخصره بيديها جعلها تشعر بقوة وصلابة صدره الرياضي وبرجوليته الفائقة التي أدركتها لوتشيانا من قبل لكنها لم تشعر بها بقوة كما الآن. رغم الصمت المسيطر بينهما الا ان لوتشيانا شعرت بتوتر المركيز لسبب تجهله وتوترها هي ازداد بدوره بسبب المشاعر الغافية التي أخذت تصحو داخلها كلما تواجدت مع هذا الرجل.

فلأنهما قد اتفقا على هدنة بينهما فقد أخذ يظهر لها جانباً جديداً وساحراً من شخصيته بمعاملته لها كإمرأة ذكية وليس كفتاة غبية بلا عقل. وقد أدركت الجهد الذي كان يبذله كونه لربما وللمرة الأولى في حياته يكون مضطراً لاعتبار مشاعر الامرأة الموجودة معه قبل اعتباره لمشاعره الخاصة هو.

فقد أخذ يشاركها بالأحاديث حين يكون اللورد موجوداً أو حين يكونان وحدهما ويسألها رأيها ويستمع لما تقول باهتمام وكانت لوتشيانا بهذه اللحظات تنسى انها نارسيسكا وتندفع بحماسة كطبيعتها للدفاع عن رأيها واثبات وجهة نظرها بطريقة ذكية وجذابة.

وصولهما الى القصر قطع عليها أفكارها وتنهدت بعمق لانتهاء هذه الرحلة التي كانت تقلقها وتثير توترها.

قبل ان يساعدها المركيز بالنزول عن ظهر الحصان قفزت هي حتى تتحاشى ملامسة يديه ليديها والتي كانت

نرسل بها تيارات من المشاعر المتدفقة التي كانت تثير خوفها.

صعدت الى غرفتها لتغيير ملابسها قبل تناول الغداء لحظات وسمعت طرقاً على بابها فاستغربت وحين فتحته وجدت القادمة المربية ماريا.

«لقد أرسلني المركيز لأستعجلك ولأساعدك على ارتداء ملابسك» قالت بصوتها الدافىء.

«شكراً لك ماريا انني على وشك الانتهاء فعلاً» صمتت قليلاً ثم تابعت:

«أخبريني ماريا ماذا فعل المركيز حين عاد ولم يجدني».

هزت المربية العجوز رأسها وقالت:

«ماذا فعل؟ لقد توقعت ان يثور غضبه وأخبرتك بذلك لكني لم أتوقع فعلاً ان يغضب لهذه الدرجة لقد صاح وشتم وعنفني على سماحي لك بالخروج الى منطقة بعيدة لا تعرفينها وبمفردك فالذئاب البرية تهاجم أحياناً من تستفرد به حتى أثناء النهار وأيضاً جن جنونه حين علم انك قد ذهبت الى هناك مشياً على الأقدام. فوحده الساكن هنا يعرف بعد المسافات الحقيقية في المنطقة هذه».

«أجل لكني لست طفلة أنا في العشرين من العمر وأستطيع الاعتناء بنفسي جيداً» احتجت لوتشيانا.

«حاولت رغم المخاطرة اخباره بهذا لكن مع من تتكلمين؟ مع بركان هائج؟ أنا نفسي استغربت درجة غضبه و...» صمتت المربية قليلاً بتفكير قبل ان تتابع:

«كان هناك شيء ما يلون غضبه ليس مجرد غضب وحنق لقد شعرت كأنه خوف ولهفة على عدم تعرضك للأذى

كأن...» صمتت المربية مجدداً وهزت رأسها لتطرد الأفكار هذه عنها وتابعت:

«لا تكترثي لكلام عجوز خرقاء مثلي قد تتخيل وجود... أمور غير موجودة لكني صدقاً وللحظة شعرت بذلك».

الدهشة وعدم التصديق ظهرا على وجه لوتشيانا التي قالت:

«خوف ولهفة من المركيز علي أنا... لا شك انك قد تخيلت ذلك ماريا فهذا مستحيل».

تناست لوتشيانا كلمات المربية التي وجدت وللحظة صدى داخل قلبها ونزلت الى غرفة المائدة حيث كان المركيز واللورد بانتظارها.

«أهلاً بك سيدتي» هب اللورد ليحييها بحماس فيما عيون المركيز تتعلق عليها للحظة ملاحظة تسريحتها الجديدة وثوبها الأزرق السماوي الرائع والذي يتماشى مع لون عيونها ومع رهافة قدها المياس قبل ان تعود العيون السوداء الساحرة الى الكأس الذي كان بين يديه.

نظرته هذه هزت أعماق لوتشيانا التي ابتسمت للورد بلياقة فنهض المركيز ودعاهم الى مائدة الطعام.

تتابع الحديث بينهم بعد الانتهاء من الغداء حول مواضيع مختلفة وتبعاً لتعليق قالته لوتشيانا حول تردي وضع الزراعة في اليونان قال المركيز:

«رغم انني عدت الى هنا منذ فترة الا انني لم ألاحظ تردي الوضع بالدرجة التي تصفين نارسيسكا».

استدارت لوتشيانا نحوه وقالت وعيونها تلمع:

«لم تلاحظ؟ لسوء الحظ الوضع أتعس بكثير مما وصفته

الانتاج سيء والسوق مشلول ولن يمر وقت طويل على المزارعين قبل ان يصابوا بالافلاس الكامل ولا تستغرب اذا ما وجدتهم مع المتسولين المنتشرين في شوارع أثينا وأزقتها».

ملامح المركيز الغير مصدقة أخبرتها انه غير مقتنع بكلامها فتابعت:

«اسأل عن عدد المصارف الفرعية والمنتشرة في القرى والتي أغلقت أبوابها خلال هذه السنة واذا تحدثت مع فلاحينك ومزارعينك بدلاً من تحدثك مع موظفيك والمسؤولين عنهم فستجد انهم أي المزارعين والفلاحين يقاومون بضراوة ويأس لإبقاء رقابهم فوق الأرض وحتى لا تبتلعهم رمال الجوع المتحركة».

صمت المركيز للحظات ثم قال واللورد ينقل بصره بينهما:

«كنت أظن ان السيدات الصغيرات أمثالك ينشغلون فقط بالأزياء والحفلات والرقص ولا يكترثون لمعاناة الطبقة العاملة».

«رغم كوننا نساء الا ان هذا لا يمنع ان نرى بأعيننا وأن نسمع بآذاننا» قالت لوتشيانا.

«صحيح وأراهن انك تشاهدين وتسمعين الكثير بهذه العيون الساحرة» قال اللورد بإعجاب فيما ظل المركيز صامتاً.

شعور لوتشيانا الداخلي والذي كانت تحس به كلما اجتمعت مع اللورد كان ينبأها انه رغم كلمات الاعجاب التي كان اللورد يوجهها لها بوجود المركيز الا ان شيئاً ما كان يبقيه بعيداً ومنعزلاً حتى كلماته كانت تؤكد للوتشيانا

انها مجرد كلمات مؤدبة ولائقة تصدر من صديق وليس من رجل محب. المركيز ولا شك قد أخبره عن مشروع زواجه بها كونها نارسيسكا فلوتشيانو وريثة الملايين وكما فهمت لوتشيانا اللورد كان بحاجة ماسة للمال لإعادة عجلة الحياة الى ممتلكاته ومزارعه لكن لوتشيانا كانت متأكدة ان اللورد يخفي أمراً ما وعليها هي ان تكتشفه. حانت لها الفرصة بعد العشاء مباشرة حين استدعي المركيز لطارىء في العمل وانفردت هي واللورد في غرفة الصالون.

«أتساءل ما الذي حدث؟» تساءلت لوتشيانا.

«وهل هذا يهم؟» سأل اللورد بدوره وهو يقترب للجلوس بجانبها وتابع:

«الآن أستطيع التحدث معك بحرية».

«بالطبع لا يوجد أي حديث مر بيننا لا يجدر بالمركيز ان يسمعه».

«هذا غير صحيح» عارضها اللورد:

«أفضل ان أتحدث اليك على انفراد آنسة نارسيسكا ومن الصعب جداً مغازلتك بوجود المركيز».

ابتعدت لوتشيانا فوراً عنه قليلاً وقالت:

«هذا ما لا أود سماعه، نحن قد تقابلنا منذ فترة قصيرة جداً... وأنت دون شك تدرك... انه رغم انني أرغب بأن نكون أصدقاء... الا انه لا يوجد أي مجال... لأي شيء آخر بيننا».

كانت تنتقي كلماتها بعناية حتى تفهم اللورد مرادها دون ان تجرح احساسه او تسبب له أي احراج.

«تعرفين دون شك ان وصيك المركيز كارلو قد وافق على مسألة زواجك مني؟».

www.elromancia.com

«هذا ما أخبرني به، وأخبرته بدوري انني لن أتزوج الا الرجل الذي يهتف قلبي له ويملأ حبه كياني».

انحنى اللورد وأمسك بيد لوتشيانا التي تصلبت لملامسته لها وقال:

«أنا وكل العاملين عندي بحاجة لك لتكوني زوجتي».

«ما تقصده حقاً» أوضحت لوتشيانا:

«انك بحاجة... لثروتي لإعادة احياء مزارعك ومصانعك اليدوية... شرف كبير لي حضرة اللورد ان ترغب بالزواج بي... وبنفس الوقت بما انني في قرارة نفسي فتاة عاطفية عادية فأنا أرغب بالزواج من رجل أحبه... ويحبني».

«وأنت لا تفتقدين انك ستحبينني حين تتعرفين علي أكثر؟».

«هذا قد يحدث، ربما» وافقته لوتشيانا:

«لكن في الحقيقة واعذر صراحتي... أنا أعتقد انه من المستحيل لك ان تحبني... لأنني أعتقد انك قد وهبت قلبك وانتهيت لفتاة أخرى».

الذهول بأسمى معانيه تجلى على وجه اللورد وملامحه وعوضاً عن تركه ليدها اشتدت أصابعه عليها كأنه بحاجة لدعمها.

«ولماذا تعتقدين هذا؟» سألها حين وجد صوته.

«أنا أشعر انك دائم التفكير بشخص آخر أو بالأصح بفتاة أخرى وأن هذه الفتاة تعني الكثير الكثير لك».

تنهد اللورد بعمق وقال:

«انت فعلاً خارقة الذكاء».

«هذه الأمور لا تحتاج لذكاء مفرط لتكتشف وخاصة لدينا

نحن السيدات» أجابت لوتشيانا بمرح وخفة وتابعت:

«اذن ما أعتقده صحيح؟».

طأطأ اللورد برأسه موافقاً.

«ومن المستحيل لك الزواج بها؟» سألته لوتشيانا برقة.

تنهد اللورد مجدداً وقال:

«هذا ما أردته منذ اللحظة الأولى التي شاهدتها بها لكن... لكن في الحقيقة أنا جبان».

«جبان؟».

«هي تعني كل شيء لي في هذا العالم! لكنها... فقيرة ومن أسرة عادية».

«وهل هذا مشين؟» سألته لوتشيانا بلوم.

«بالطبع لا، بالنسبة لي هذا أمر لا أكترث له ولا للحظة واحدة لكن... كما تعرفين عائلتي وتقاليدها وعقليتها وقوانينها من المستحيل لرجل عريق النسب وذو اسم معروف في المجتمع الزواج من فتاة يعتبرونها سوقية وفقيرة بلا حب أو نسب».

«لكنك تحبها وهي دون شك تحبك».

«أجل وأنا مستعد للتخلي عن كل العالم لأجلها وهي أيضاً لكن... والدي مريض بالقلب وأي صدمة له وهو في هذا العمر قد تكون الضربة القاضية لحياته وأنا... لا أريد ان أكون السبب بإرساله الى العالم الآخر فرغم كل شيء هو أبي وهو كل عائلتي فأنا قد فقدت والدتي لحظة الولادة ولا أشقاء أو شقيقات لي وقد نذر والدي حياته لتربيتي رغم انه كان قادراً على الزواج من أجمل وأحسن فتيات أولمبيك ولهذا... فأنا لا أستطيع أبداً ان أسبب له أي أذى الآن وقد أصبح رجلاً مسناً بحاجة للعناية

والراحة».

«وما كان موقف حبيبتك؟».

«ساندريتا؟ لقد طلبت مني تناسي وجودها والعيش بدونها وتمنت لي السعادة حتى لو اخترت امرأة غيرها حتى أحافظ على حياة والدي وراحته فأنا ابنه الوحيد وهو ضحى بكل شيء من أجلي ومن واجبي اتجاهه ان أحترمه وأطيعه حتى ولو كان بذلك موتي».

«يا لها من فتاة رائعة» علقت لوتشيانا بإعجاب لهذه الفتاة التي ضحت بالحب والمجد والثراء حتى لا تكون السبب بالتفريق بين ابن وأبيه.

«ولم تحاول مفاتحة والدك بالموضوع هذا؟» وسألت لوتشيانا.

سرح اللورد بنظره بعيداً وقال:

«حاولت مرة ولمحت له بهذا دون ان أجعله يشعر انني أتحدث عن نفسي فثار وهاج وقال ان قتل هذا الشاب سيكون مفخرة لمن يقتله».

«ألهذه الدرجة؟».

«أجل وهذا لب الموضوع».

«عندي فكرة حضرة اللورد» قالت لوتشيانا وعيونها تلمع بإثارة:

«دع والدك يتعرف على ساندريتا دون اخباره مطلقاً انها حبيبتك ادع انها صديقة قديمة لك في المدرسة أو ما شابه وقد أتت الى هنا بزيارة قصيرة وبهذا نؤدي الخطوة الأولى فأنا واثقة انه حين يتعرف والدك اليها ويرى كل شيء رائع بها فسينجذب اليها كما انجذبت انت بنفسك الى رقتها ولطفها وأخلاقها العالية وبعد هذا وبعد رحيلها تقوم

بالخطوة الثانية الا وهي اطلاع والدك على مدى حبك وتعلقك بساندريتا وأخبره ان حياتك دونها ستكون بلا معنى وأن سعادتك وهناءك سيكونان بقربها وبقربها فقط ثم حدثه عن طيب أخلاق ساندريتا وعن طيبة وأخلاق عائلتها واشرح له ان المال هو ليس كل شيء في هذا العالم وانك حتى ولو ملكت الملايين فلن تكون سعيداً بدون وجود ساندريتا الى جانبك وأنا واثقة انه حين يتأكد والدك من مدى حبك وتعلقك بها فسيفكر بقلبه ويرضخ لما تريده لأنه بالنهاية يريد لك كل السعادة والهناء».

«أتعتقدين ذلك؟» سألها اللورد بلهفة:

«ولكن المركيز أخبرني انه لمصلحتي ومصلحة ازدهار مقاطعتي على الزواج من فتاة ثرية وهذه الفتاة هي انت كما تعرفين».

«وهل يستحق اي شيء في العالم بيع قلبك وحب حياتك وسعادتك؟ ستحصل على المال بالزواج مني أو من أي فتاة ثرية أخرى لكن النتيجة ستكون حياة ميتة عقيمة وفارغة وسينعكس هذا عليك انت نفسك وستنسى معنى السعادة والضحك وستتحول، أعذر تشبيهي، الى انسان نكدي يعشق اليأس ويهوى الحزن وهذا بالطبع لن يساعد مقاطعتك ولا الناس العاملين عندك وسيقتم لون كل شيء جميل عندك وفي أراضيك».

هز اللورد رأسه بموافقة ومجدداً اشتدت أصابعه على يد لوتشيانا وقال بامتنان:

«أحمد الله ألف مرة لأنه وضعك في طريقي آنسة نارسيسكا لقد أحييت داخلي أملاً كاد ان يذوي».

«وأيضاً تستطيع طلب قرض من أي مصرف حتى تدير

www.elromancia.com

عجلة العمل عندك وحين تكون ساندريتا معك والحب والأمل يقفزان حولك فستتمكن من انجاح أصعب المهمات ولن يكون هناك أي شيء مستحيل أمامك».

رفع اللورد يدها الى فمه وقبلها بصدق وقال وعيونه تلمع بشدة:

«شكراً لك، شكراً لك، لقد بعثت بي الحياة مجدداً والآن سأحاول ان أتصرف كرجل، كرجل حقيقي».

تنهد بعمق كأن حملاً ثقيلاً قد انزاح عن كاهله وقال:

«أشعر بالخجل لأنني لم أحاول اقناع والدي بشتى الوسائل بضرورة زواجي من حب حياتي ساندريتا وأيضاً لسماحي للمركيز بإغرائي بالسبيل الأسهل للحصول على المال لمساعدة شعبي وقوله ان الزوجة الثرية ستكون الحل لكل مشاكلي. لقد قال انه سيجد لي واحدة وجعل الأمر يبدو بالغ السهولة ولدرجة انني اعتقدت انني كنت أقوم بالعمل الصواب بالتضحية بنفسي وسعادتي ومشاعري لمصلحة مقاطعتي وأهلها. الآن وبفضلك أدركت انني كنت أتصرف بضعف وجبن».

ربتت لوتشيانا على يد اللورد المحتضنة يدها وقالت:

«لا تقل هذا انت فقط كنت تستمع لكلام معسول من بائع يشيد ببضاعته لكنه لم يعطك الفرصة للتعبير عن متطلباتك الخاصة انت».

فكرت لوتشيانا بعناد وتصلب آل فلوتشيانو وتذكرت قول الكونتيسة أنه حين يصمم أحد أفراد فلوتشيانو على أمر ما فلا أي قوة ولا أي شخص سيثنيه عن تحقيق هذا الأمر. وتساءلت ماذا ستكون ردة فعل المركيز حين يعرف ان ترتيبه وتخطيطه قد فشل وأن السبب بذلك هي ابنة عمه

المزعومة.

ضحك اللورد للصورة التي استعملتها لوصف ما حدث وقال:

«أعتقد انك تتصرفين بعدم لياقة مع ابن عمك، بنفس الوقت هو أحياناً مستبد ومسيطر فعلاً».

«كل آل فلوتشيانو هم هكذا».

«باستثنائك» قال اللورد:

«وأنا لا أجدك فقط ساحرة الجمال بل موحية أيضاً».

مجدداً أمسك اللورد بيدها وقبلها وقال:

«شكراً لك! شكراً لك! أعتقد انك رائعة الجمال، واحدة من أجمل النساء اللواتي صادفتهن في حياتي وأريدك ان تقابلي ساندريتا».

«يسرني جداً فعل هذا» ردت لوتشيانا بصدق.

«سنعيد تجديد وبناء مقاطعتي معاً» قال اللورد وعيونه تبرقان بشدة:

«وحين تأتين لزيارتنا آنسة نارسيسكا ستدهشين لما ستجدين».

«أنا واثقة من هذا» ردت لوتشيانا بضحك.

ثم ظهر الانزعاج للحظة على وجه اللورد كأنه تذكر فجأة المركيز كارلو فلوتشيانو وقال:

«وماذا بشأن المركيز ابن عمك؟ لا شك انه سيشعر بالغضب أو حتى الاهانة اذا ما أخبرته عن عدولي عن الزواج بك».

فكرت لوتشيانا للحظة ثم قالت:

«ليس علينا اطلاعه على هذا الآن أخبره انك مضطر للعودة لمدة أسبوعين الى مقاطعتك لأن والدك بحالة صحية

سيئة وأن عليك العودة الى هناك بأقصى سرعة وأخبره انك ستعود بعد أسبوعين على أبعد تقدير لمتابعة ترتيبات أمر زواجك بي» صفقت لوتشيانا بيدها بحماس وهي تتابع:

«وفي هذا الوقت تكون قد قمت بما أخبرتك به وحصلت بالتالي على موافقة والدك وعليك اتمام زواجك من حبيبتك بسرعة وعند ذلك لن يعود بإمكان المركيز أو غيره اجبارك على الزواج مني أو من غيري».

«أنت على حق، أنا واثق انك كذلك» وافقها اللورد بحرارة فكر اللورد للحظات ثم قال:

«للصدفة السعيدة انني قد تسلمت هذا الصباح فعلاً بعض الرسائل من المقاطعة لكنها كانت جميعاً تحمل أخباراً عادية».

«ليس عليك قول ذلك بل أخبره بتدهور صحة والدك وقل انك لم ترغب بإخباره بذلك على الفور حتى لا تفسد عليه وعلي هذه الأمسية وأيضاً حتى تزيل أية شكوك قد تتحرك داخله أخبره انك قد قضيت أمسية ممتعة وممتازة معي وأنني قد وعدتك بالتحدث مطولاً وجدياً عن الوضع بيننا حين تعود الى هنا بعد أسبوعين».

ابتسم اللورد لكلماتها وخطتها والتمعت عيونه بشقاوة وقال:

«هذا ديبلوماسي للغاية، آنسة نارسيسكا وسيبدد هذا أية شكوك قد تتبادر الى ذهنه حول عودتي المفاجأة الى المقاطعة».

«أجل بالطبع» وافقته لوتشيانا:

«سيكون من الخطأ جعله يشك ان عودتك المفاجأة سببها هروبك من الزواج».

ضحك اللورد وبدا أكثر جاذبية وشبابا:

«انت رائعة! لربما أنا أقترف خطئاً كبيراً حقاً بعدم زواجي بك وجعلك سيدة المقاطعة وأهلها».

«صدقني انك لن تخطىء بحياتك أكثر من هذا اذا فعلت» أجابته لوتشيانا بضحك.

«شكراً لك» قال اللورد:

«شكراً لك! من الصعب لي اخبارك بما فعلته لي ولمستقبلي مع ساندريتا».

«أنا واثق انكما ستكونان أجمل وأسعد زوجين في العالم».

«هذا ما آمله! بصدق وحرارة» أجاب اللورد:

«سأجاهد بكل وسيلة أستطيع لأحقق كلماتك».

كان يتكلم ويداه تمسكان بيدي لوتشيانا وكانت هي تبتسم له رداً على ابتسامته الصادقة والنابعة من أعماق قلبه حين فتح الباب ودخل المركيز الذي بدا عليه ملامح الرضى لجلوسهما هكذا قرب بعضهما البعض وللإيحاء الذي كانت تعطيه جلستهما الحميمة هذه.

ترك اللورد يدا لوتشيانا ونهض باحترام قائلاً:

«كنت أخبر الآنسة نارسيسكا للتو حضرة المركيز ضرورة سفري الى المقاطعة على وجه السرعة لأن صحة والدي متدهورة ويطلبونني على جناح السرعة».

«تسافر الآن؟» سأل المركيز باستغراب.

«هذا شيء يعاكس رغباتي» قال اللورد:

«لكني مضطر للسفر ولن أغيب مطولاً أسبوعين على أبعد تقدير».

ظهرت تقطيبة على جبين المركيز الذي عاد وابتسم

www.elromancia.com

قائلاً:

«سأشتاق لك وآمل بشدة ان تعود الينا بأسرع وقت ممكن».

«كما كنت أقول للآنسة الرائعة نارسيسكا» قال اللورد ورمى لوتشيانا بابتسامة ودودة:

«العودة شيء أتلهف اليه جداً».

مجدداً رماها اللورد بنظرة حب فكادت لوتشيانا ان تنفجر بالضحك لتمثيله المتقن هذا.

لكنها بدلاً من ان تضحك قالت بنبرة رقيقة:

«السفر شاق جداً لك حضرة اللورد وأتمنى ان تذهب وتعود الينا على جناح السرعة».

«هذا ما أريده» قال اللورد:

«واذا سافرت في الصباح الباكر فهذا سيكون أفضل حتى أذهب وأعود بسرعة».

«ستقلك سيارتي الى محطة القطار وأبرق لي بتاريخ عودتك المحدد وسأرسل السيارة لإحضارك من المحطة».

«شكراً لك حضرة المركيز هذا لطف كبير منك».

«لا تقل هذا فنحن سنصبح عائلة واحدة عما قريب» قال المركيز وهو يرمق لوتشيانا بنظرة فهمت هي معناها وتبادلت واللورد نظرات فهمها المركيز الغافل كنظرات وداع بين عاشقين.

«سأذهب لأعد لك التريبات ليوم الغد» قال المركيز وغادر الغرفة.

قفز اللورد من مكانه فوراً والضحكة تعلو ثغره وقال:

«لقد نجحنا! لقد نجحنا حقاً!».

«بالطبع» ردت لوتشيانا:

«لكن اياك ان تثير بأية طريقة شكوكه بأنك لن تعود الى هنا مجدداً».

«كلا، بالطبع لا» وافقها اللورد ثم سألها فجأة:

«هل ستطلعيه على الحقيقة فور رحيلي؟».

«ليس الا اذا اضطررت لذلك» أجابته لوتشيانا:

«لا رغبة عندي بحثه لصب جام غضبه علي الا حين يصبح لا مفر لي من ذلك».

«لقد كان لطيفاً جداً ومساعداً طيباً لي» قال اللورد:

«أكره ضرورة خداعي له. لكن بنفس الوقت...».

«مستقبلك هو ملكك وحدك وليس ملكه هو» قاطعته لوتشيانا قبل ان يتابع كلامه.

وقالت بنفسها: على المركيز ان يتعلم درساً الا وهو عدم التدخل بعمق بشؤون الآخرين وحياتهم».

انتقلا هي واللورد الى الشرفة للتحدث وتمضية الوقت حتى عودة المركيز ولسان حال لوتشيانا بشكر الله على نعمة التبصر والحدس التي ولدت معها والتي أنبأتها ان قلب اللورد مشغول بفتاة أخرى وبالتالي مكنتها من مساعدة هذا الشاب وحبيبته دون التعرض مباشرة لغضب المركيز وسطوته وستتمكن هي من لعب دور نارسيسكا لبعض الوقت فيما اللورد يؤسس سعادته وحياته مع حبيبة قلبه ساندريتا.

وصل المركيز بعد قليل واستأذن اللورد بالعودة الى غرفته لتجهيز نفسه للسفر الباكر غداً وحينها أصبحت وتشيانا والمركيز كارلو وحدهما.

بادرها المركيز فوراً:

«من المزعج جداً اضطرار اللورد للسفر فجأة هكذا فيما... كما لاحظت الأمور أخذت تسير معكما على خير ما يرام».

«انه شاب جذاب» ردت لوتشيانا:

«وأكثر ذكاءاً مما اعتقدته سابقاً».

«تبدو هذه ملاحظة طنانة من فتاة بمثل سنك» علق المركيز بإغاظة.

«عندك أفكار غريبة عجيبة حول الأعمار» ردت لوتشيانا:

«هل لي ان أشير، بما انك لا تدرك ذلك كما يبدو، انه لا يوجد مسطرة يقاس بها ذكاء الناس بما انهم سنة بعد سنة يطورون ذكاءهم كل بطريقة مختلفة عن الآخر».

«أنا أدرك ذلك» قال المركيز.

«اذن عليك ان تدرك أيضاً ان بعض النساء اللواتي في سن الثلاثين هم مجرد فتيات لعوبات فارغي العقل بينما هناك فتيات بمثل سني يتمتعن بذكاء وحنكة تفوق ما تتخيله».

ضحك المركيز وقال:

«حين تتهجمين علي كلبؤة صغيرة تلمع عيونك وترسل شرارات زرقاء وأنا مندهش لقوة حماسك».

«آسفة اذا ما كان هذا الشيء يسبب لك الازعاج».

«بالعكس، أجد الأمر ممتعاً» أجاب المركيز:

«ولا شك ان ضيفنا العزيز يجده كذلك أيضاً ولكن للأسف عليه الرحيل الآن وعلي انا أضع الخطط لما سأفعله بك أثناء فترة غيابه».

«هناك أحصنة كثيرة في المزرعة، وأنا لم أشاهد بعد معظم جهات الممتلكات» قالت لوتشيانا.

«في الواقع أنا نفسي لم أتفقد كل الممتلكات بعد لكن... قد ترغبين بلقاء العائلة والتعرف الى أفرادها!».

«لا، لا، أرجوك» سارعت لوتشيانا بالقول لإدراكها ان هذه المقابلات ستكون خطرة وتابعت:

«لنبق وحدنا لا رغبة حالية عندي بالاجابة على التحقيقات التي سيطرحها علي كل فرد من الفلوتشيانو حول جدتي وحول ثروتي وما الى ذلك من أمور الا اذا كنت انت ترغب بأن تكون بنفس موقعي لأنهم دون شك سيجرون تحقيقاتهم معك انت أيضاً، فأنت لم تقابلهم بعد منذ عودتك لا؟».

«هذا صحيح ولتحمني السماء من ألسنتهم، لا من الأفضل ان نتعرف على بقية الأراضي ونؤجل مسألة التحقيقات العائلية هذه الى وقت آخر».

«أجل فالفلوتشيانو سيكونون أكثر من مستعدين لهذا اللقاء».

ضحك المركيز وقال:

«طريقة تعبيرك عنهم بكلمة الفلوتشيانو تظهر تماماً ما تكنين لهم من مشاعر».

«أعرف ما كانوا يكنون لجدتي» قالت لوتشيانا فوراً.

«لا شك ان مشاعرهما معاً كانت متشابهة. أنا آمل فقط الا تكون مشاعرك انت هكذا أيضاً».

«بما انك الفلوتشيانو الوحيد الذي قابلته حتى الآن فسأدعك تعرف حقيقة مشاعري فور ان تتكون وتتوضح داخلي».

«تجعلينني أترقب شراً» قال المركيز بسخرية.

«أنا لن أخرق المعاهدة بيننا» قالت لوتشيانا بسرعة.

www.elromancia.com

«لا آمل منك ان تفعلي» أجاب:

«وأيضاً أنا راضي ومكتفي بما هي الأحوال عليه الآن وشديد الأمل بما قد يكون».

أدركت لوتشيانا انه كان يتكلم عن اللورد ولصرف أي شك عن ذهنه أخفضت لوتشيانا نظرها بخجل وغطت رموشها السوداء الكثيفة عيونها الزرقاء الواسعة.

امتدت فترة من الصمت فيما هي تتساءل عما يدور بخلد المركيز حين سمعته فجأة يقول:

«انت جميلة جداً نارسيسكا، ومع الثروة الهائلة التي تملكين فإن اللورد سيكون غبياً جداً برحيله قبل أخذ وعدك له بالزواج».

«لن يطول به هذا» قالت لوتشيانا بعد تفكير.

«أعرف» أجاب المركيز:

«وبنفس الوقت أخشى ان يحط الملاك الحارس غابريال ويخطفك بعيداً، أو قد يتقدم اليك نبيل آخر يكون عرضه أسخى من عرض اللورد ويصبح من الصعب علي قول لا».

ضحكت لوتشيانا قائلة:

«لا أعتقد سيدي المركيز ان الملاك الحارس سينزل من عليائه ليحط هنا. لكن قد يقدم لي ابولو مقعداً على عربته الملكية السابحة في السماء وسأجد من الصعب فعلاً علي أنا قول لا له».

«خيول ابولو ليست أسرع من خيولي» قال المركيز بمباهاة:

«وحالما يعود اللورد فسأوصله الى هنا على جناح البرق حتى لا تتسنى لك الفرصة للهروب منه».

«يبدو كأنك متأكد انني سأحاول الهروب».

«انت تشرينني عمداً للإعتراف انني أرغب بسجنك والاحتفاظ بك كرهينة عندي».

«هذه ستكون تجربة غير عادية» ردت لوتشيانا:

«وستعتمد دون شك على من سيكون السجان».

رفعت نظرها الى وجه المركيز لترى ردة فعله على كلماتها وهما يتجادلان نداً لند حين أدركت فجأة وبذهول ومما لا يقبل الشك انه اعتقد انها كانت تغازله وتعبث معه.

وجدت لوتشيانا صعوبة بالاستغراق بالنوم تلك الليلة وكانت أفكارها كلها تحوم حول المركيز. هل من الممكن انه اعتقد فعلاً انها تحاول اغوائه؟! مجرد تفكيرها بهذا يدفعها للضحك كيف بإمكان المركيز كارلو فلوتشيانو ان يعتقد ولو للحظة ان ابنة عمه نارسيسكا تفكر بجذبه أو تفكر به كرجل...

اذا ما اعتقد هذا فعلاً فهو سيكون أكثر حماساً لتزويجها وابعادها عنه بأسرع وقت ممكن.

وهي كانت تعرف تماماً ما هو نوع النساء الذي يفكر به المركيز لتكون زوجة المستقبل له. انه يريد امرأة بلهاء بلا دماغ تنفذ أوامره بطاعة ودون مجادلة أو تعليق ولعله يعتقد ان كل النساء هن هكذا. فهي لا تزال تذكر الاستغراب الذي يلون ملامحه كلما تصرفت بذكاء أو الدهشة التي تظهر عليه كلما نطقت كلمة تدل ان عندها تفكير وتدبير.

سيكون من الممتع جداً لها تلقينه درساً فحين يكتشف خطتها مع اللورد سيتعلم الا يصدر حكمه فوراً على الآخرين وسيتوقف عن تخطيط حياة الآخرين وتنظيمها لهم وحينها ستضحك هي ستضحك كثيراً لذهوله ودهشته.

صباح اليوم التالي ارتدت لوتشيانا رداء الفروسية ونزلت الى حيث كان المركيز بانتظارها استعداداً لإمتطائهم الصباحي في الأراضي الغربية كما اتفقا البارحة. كان المركيز في الخارج يتحدث مع الحوذي وأمامه فرسين أحدهما أسود اللون وله نجمة بيضاء في وسط رأسه وكان المركيز يقف قربه والآخر بني اللون لماع.

شعرت لوتشيانا ان المركيز مسرور لرؤيتها وعزت ذلك الى كونها لم تجعله ينتظر بل كانت في الأسفل على الوقت تماماً.

توقعت ان يساعدها الحوذي لامتطاء الفرس البني الا ان المركيز هو الذي فعل هذا ورفعها بخفة ويديه حول وسطها الى السرج.

«انت خفيفة جداً وأجد من الصعب عليك تحكمك بحصان ضخم وقوي كهبوب الريح».

«هو لن يرفس معي اذا كان هذا ما تخشى منه».

«في الواقع أنا كنت أقدم لك اطراءاً» علق المركيز بجفاف:

«ولا يزال الوقت باكراً جداً للتشاجر مع أي شخص».

ضحكت لوتشيانا وقالت:

«آسفة! لكنني كنت أخشى ان تصر على امتطائي لحصان خامل ما غير هبوب الريح أنا أحب هبوب الريح كثيراً وأفضله على غيره من خيول المزرعة».

«اذن أعدك انني لن أبعده عنك» قال المركيز ولكز حصانه وانطلقا.

لوتشيانا كانت خيالة ماهرة بسبب تعلمها لركوب الخيل مع نارسيسكا في باحات قصر الكونتيسة ومزرعتها. ولهذا

فقد أخذت تسابق المركيز وأثبتت مهارتها الفائقة بإيقاف الفرس أو تسريع خطاه وتخفيفها.

توقفا أمام نبع ماء لتقديم بعض الراحة والشرب للحصانين وكانت خدود لوتشيانا شديدة الاحمرار من جراء التمرين وكذلك كانت عيونها تلمع بإثارة.

«انت خيالة بارعة وسأعترف مجدداً ان هذا شيء لم أكن أتوقعه من فتاة بمثل عمرك».

«أود ان أشير لك» قالت بمرح:

«ان جدتي كانت دائماً تقول ان الفلوتشيانو لا يعترفون أبداً بأخطائهم».

«هناك استثناء لكل قاعدة» قال المركيز وهو يبتسم لها ثم امتطى حصانه وسارا جنباً الى جنب بتؤدة وصمت.

الشمس كانت ساطعة ومياه النبع تترقرق كالبللور والعصافير كانت تزقزق بسعادة والنحل كان يلثم ثغر البراعم وتغلغل كل هذا الجمال بشرايين لوتشيانا وشعرت بالسلام الكامل داخلها وبعدم رغبتها بمقاتلة أي شخص.

وتذكرت أحوالها التعيسة المعتمة التي كانت قبل وصول نارسيسكا اليها التي قامت وكالسحرة بتغيير كل شيء حولها وتلوينه بفرشاة سحرية بكل الألوان والتباشير.

الآن هي كانت ترتدي ملابس الأميرات وتمتطي حصاناً لم تحلم يوماً بامتطائه وتشحذ ذهنها للتحدث مع الرجل الرائع الساحر الذي كان يسير الى جانبها.

حسناً! انه ليس ساحراً طوال الوقت فقط حين يكون هادئاً وراضياً لكنه رغم كل سطوته وسيطرته الا انه رجل جذاب وساحر وتنبعث الرجولة من كل ذرة به.

فجأة ودون سابق انذار وكأن السؤال يأتي من مكان لا

يعرفه أي كان سألت لوتشيانا نفسها: ماذا لو تتابعت نزهتها هذه معه الى الأبد؟.

مساء ذلك اليوم خطت لوتشيانا رسالة جديدة الى والدتها تطمأنها بها عن حالها وتخبرها ان كل شيء على ما يرام وأن دراستها تسير على أفضل حال. عنونت الرسالة ووضعتها بصندوق البريد قبل ان تصعد الى غرفتها لتنام وقلبها يدعو ان تتمكن نارسيسكا من الزواج من جيوفاني حتى تتحرر هي. فرغم ان أيامها هنا وبرفقة المركيز كانت تفوق أكثر أحلامها راحة ورخاء الا ان قلبها كان ينبؤها بكارثة ما مقبلة وهي تريد الهروب قبل حلول هذه الكارثة».

صباح اليوم التالي ذهبت لوتشيانا والمركيز بجولتهما الصباحية المعتادة وكانت الخطة هذا اليوم تقضي بالوصول الى برج القلعة الشمالي والذي كان مبنياً على قمة تلة عالية والذي كان يستعمل كبرج حماية لآل فلوتشيانو الأوائل ضد الهجمات والغزوات التي كان يقوم بها الأعداء.

وصلا الى هناك والتعب قد أخذ منهما كل مأخذ لكن روعة المنظر الممتد أسفل التلة جعل لوتشيانا تنسى التعب وتنسى لهاثها لتقول بحماس وحرارة.

«يا الهي! المنظر الرائع هذا يستحق تعب الدنيا وإرهاقها».

هز المركيز رأسه موافقاً اياها ووقفا جنباً الى جنب للإستمتاع بالمنظر الساحر أسفلهما.

الأراضي المتدرجة الاخضرار كانت تمتد حتى مسافات شاسعة حول البرج وكانت المزروعات المختلفة تتماوج كبحور الذهب مع كل هبة نسيم وكان قصر آل فلوتشيانو

يظهر من البعيد ببروجه وقبابه.

«أذكر حين كنت آتي الى هنا وأنا طفل تعالي سأريك شيئاً» قال المركيز بحماس وأمسك بيد لوتشيانا وجرها الى فرع شجرة ضخم.

«انظري هنا» قال وهو يشير الى الجذع:

«محفور هنا منذ حوالي مئة سنة ان كل الأراضي التي تبدو في الأسفل وعلى مدى النظر هي ملك لآل فلوتشيانو منذ العام ١٩١٠».

سرحت لوتشيانا قليلاً وقالت:

«أذكر شيئاً ما قالته جدتي حول هذا الموضوع... لقد قالت... ان من حفر هذه الجملة كان مبالغاً وأن الأراضي الممتدة نحو الشرق هي ملك لآل... غانزولي، غونزالي أو ماشابه ذلك...».

تغيرت ملامح المركيز على الفور وظهر عليه الغضب الشديد وهو يهدر:

«اذن سأرسل حالما نعود رجلين لقطع جذع الشجرة الذي حمل الأكاذيب هذا. الشيء الوحيد الذي أكره ولا أتحمل في هذه الدنيا كلها هو الكذب والنفاق من أي نوع كان»..

كان شديد الحنق لدرجة أثارت خوف لوتشيانا التي استغربت حدة غضبه من شيء تافه كهذا.

«أنا... أنا آسفة» تمتمت بارتباك:

«أنا... لم أقصد ان أثير... غضبك. لربما كان من الأفضل لي عدم ذكر ما قالته جدتي... فقد يكون كلامها غير صحيح...».

استمر الصمت بينهما للحظات شعرتها لوتشيانا طويلة

جدا. ثم تكلم المركيز وقال:

«لربما أنا من يجب عليه الاعتذار! لكني ولشدة كرهي للكذب والاحتيال فقد ثارت حفيظتي واشتعل غضبي».

«لقد... لقد أخفتني».

نظر المركيز اليها وابتسم بلطف وقال:

«آسف لذلك».

أدركت لوتشيانا انه سيكون من المستحيل عليها مواجهة بركان غضبه وحنقه حين يعرف الحقيقة وحالما ستعرف ان نارسيسكا قد تزوجت من جيوفاني فستهرب وتختبىء في مكان لن يجدها المركيز به أبداً.

الأيام التي تلت معاهدة الصلح التي اتفقا عليها جعلتها تدرك ان المركيز يعاملها بطريقة مساوية له وأنه كان يستمتع بمحادثتهما وبنزهاتهما معاً وبنفس درجة استمتاعها هي بذلك، انه يثق بها ويحترمها ولهذا فهي مرعوبة بشدة من لحظة معرفته للحقيقة ولحقيقة انها كاذبة ومدعية. تنهدت بعمق بداخلها وتشاغلت بالنظر الى المنظر الرائع في الأسفل وهي تشعر بشدة بالمركيز الذي يقف قربها وينظر وإياها للجمال الحي في الأسفل.

سمعت المركيز يقول بهدوء بنبرة مختلفة تماماً:

«لا أريد ان يفسد هذا أي شيء».

«بالطبع لا» وافقته لوتشيانا:

«وأنا واثقة انه بوجودك للإعتناء به فإنه سيستعيد كمال وسيبقى هكذا دوماً».

«هل انت حقاً تمتدحينني نارسيسكا؟» سأل:

«هذا شيء لا أذكر انني قد سمعته منك منذ وصولك الى أولمبيك».

«لا شك انك تعتقدني... شديدة الاهمال... وبالطبع... عديمة الامتنان أيضاً».

«لا شك ان هناك (مسلّة) في مكان ما بهذه المحادثة» أجابها.

ضحكت لتعليقه وقالت:

«أعتقد انني لم أكن طليقة اللسان حول موضوع القصر وحول موضوعك لربما لأنني كنت مبهورة بالقصر وبك وأيضاً لأنني شعرت... بالخجل».

«والآن؟» استفسر المركيز وحاجبيه يرتفعان بتساؤل.

«انت تجبرني على الإعتراف ان الإلفة تولد المحبة».

«كنت آمل» قال:

«ان الإلفة ستجعلك تشعرين بالودية والسعادة لأن هذا ما أريدك ان تكونيه».

«اذا أردتني ان أكون سعيدة هنا» قالت بصوت ناعم:

«فلماذا سترسلني بعيداً عن مكان أحببته وتعلقت به الى مكان أجهله تماماً وأناس لم يسبق لي مشاهدتهم من قبل وأشعر... ان ذلك المكان... لن يكون أبداً... كمنزلي».

وهي تتكلم فكرت ان منطقها كان صحيحاً وأن المركيز يظهر لها الجانب الرائع لشخصيته فقط ليقنعها بما يريد وليصل بالتالي الى تحقيق رغباته وتخطيطاته.

ولدهشتها هو لم يجيب بل ظل يحدق بالمنظر أسفل البرج وانتابها شعور انه لا يرى شيئاً مما أمامه.

ثم قال باختصار وفجأة:

«أعتقد ان علينا العودة الى القصر الآن وعلينا انزال الخيول ببطء وإلا فقد يحدث لنا حادثاً ما».

أدركت لوتشيانا انه لا يرغب بمتابعة الحديث معها وفكرت انه لربما شعر بالانزعاج لاستغلالها غياب اللورد لاقناعه هو بصرف نظره عن موضوع الزواج.

ولأنها لم تكن ترغب بإزعاجه فقد قالت برقة:

«هل تسمح وتساعدني لامتطاء هبوب الريح، لا أعتقد ان بإمكاني الوصول الى السرج العالي بمفردي».

«أجل بالطبع» كان رده.

وضع لجام حصانه جانباً ورفعها بمهارة وثبتها على السرج ثم أصلح لها وضع تنورتها.

«شكراً لك» قالت لوتشيانا بامتنان.

كانت تنظر اليه من مكانها العالي على السرج ورفع هو نظره اليها حين سمع صوتها.

التقت عيونهما للحظات وشعرت لوتشيانا بقوة ان عيونه كانتا تخبرناها بشيء هام لم يسبق له وقاله لها.

لكن اللحظة تلاشت حين أخفض المركيز عيونه وتشاغل بامتطاء فرسه واعتقدت هي انها كانت مخطأة دون شك بما اعتقدته لكن لسبب تجهله وفيما كانا ينزلان التلة كان قلبها ينتفض بقوة.

أثناء العشاء أخبرت لوتشيانا المركيز انها ترغب بالذهاب غداً الى البحيرة لإكمال لوحتها التي رسمتها سابقاً.

«حسناً لكن لن تذهبي مشياً على الأقدام هذه المرة» قال.

«أستطيع استعمال هبوب الريح».

«لا أفضل ذلك فهبوب الريح فرس رائع للإمتطاء والركض ولن يكون مزاجه جيداً اذا بقي دون حركة لفترة طويلة من الوقت وبالتالي فقد يسبب لك المشاكل بطريق

العودة».

«اذن ما هو الحل؟» سألته.

«أرى ان أوصلك بنفسي الى هناك صباحاً قبل ذهابي بجولتي اليومية ثم أعود لأصطحبك الى هنا وقت الغداء، فما رأيك؟».

ضحكت وسعادة ما تحركت داخل قلبها لاقتراحه هذا وقالت:

«لا بأس ركوب السيارة سيكون أكثر راحة بالطبع من ظهر هبوب الريح المتحرك شمالاً ويميناً كظهر الجمل».

ضحك المركيز بدوره لتشبيهها هذا وقال:

«في التاسعة صباحاً اذن».

استلقت لوتشيانا على فراشها والفرح يثير قلبها ولم تستطع النوم فخرجت الى الشرفة الخاصة بغرفتها وأخذت تراقب السماء والنجوم. كل شيء حولها هنا كان كالحلم الجميل المنزل رائع ، غرفتها رائعة ملابسها، نشاطاتها. حركاتها وحتى لوحاتها صارت رائعة والأغرب من هذا ان رفيقها في هذا المكان المركيز نفسه كان أفضل رجل لإضفاء السعادة والتسلية لمن يرافقها. فسعة اطلاعه وثقافته كانت تبدو بكل حديث يتحدثان به وشعرت انها حتى لو عاشت مئة سنة فإن ذكرى الأيام التي قضتها هنا لن تبتعد عن مخيلتها ولا للحظة واحدة.

قوة مشاعر لوتشيانا أخافتها وأدركت انها دون ان تدري تكاد تتعلق بوصيها الجميل واذا فعلت فلتساعدها السماء حينها على ما سيحدث لها...

أوصلها المركيز صباح اليوم التالي الى البحيرة كما اتفقا وطوال الطريق ظل الصمت المتوتر يسيطر عليهما وكان كل

منهما غارقاً بأفكاره كأنه لا يشعر بالشخص الآخر الموجود قربه.

«سأعود لاصطحابك في الثانية تماماً، الى اللقاء نارسيسكا» قال مودعاً اياها دون ان ينظر اليها.

لحظات وابتعدت السيارة البيضاء الفاخرة ونفضت لوتشيانا عنها كل الأفكار وركزت فقط على الرسم. لم تشعر بمرور الوقت كعادتها حين تستغرق بالرسم الذي تعشقه وحين وصل المركيز لإعادتها الى القصر كانت قد أنهت لوحتها الأولى ووضعت أسس اللوحة الثانية التي كانت تصور الدغل الصغير الملاصق للبحيرة.

مزاج المركيز كان قد تحسن كما يبدو فقد بادرها بابتسام وهو يقترب ليساعدها بحمل أدوات الرسم:

«يبدو ان رسامة آل فلوتشيانو ستصبح فنانة معروفة جداً في المستقبل!!».

«آه شكراً لك، هذا لطف منك لكني أعرف ان لوحاتي لا تزال بحاجة للكثير الكثير من الدقة والدراسة».

«أنا أعطيتك رأي مشاهد بسيط للوحاتك الرائعة. تنسيقك للألوان جذاب جداً ويجعلني أشعر بالجمال الذي ترسميه أكثر».

«المناظر هنا هي الرائعة هنا حقاً وأنا فقط أنقلها على الورق» قالت بخجل لإطرائه موهبتها.

«المنظر الجميل فقط هو كل ما يحرك الفنان ليعبر عن فنه؟ أم ان هناك دوافع أخرى نارسيسكا؟».

«بالطبع هناك» قالت فوراً وهي تفكر بمغزى سؤاله الغريب هذا.

«حسناً لنجمع الألوان الآن ونتطلق فالغداء سيكون

جاهزاً بعد نصف ساعة وأنا حقاً أشعر بالجوع» قال مغيراً الموضوع مما زاد من حيرة لوتشيانا.

حين دخلا بوابة الحديقة لاحظا وجود ثلاث سيارات فاخرة في الموقف الخاص بالقصر.

اندهشت لوتشيانا وقالت:

«لم تخبرني ان عندنا زوار على الغداء».

«أنا لم أدع أي شخص» أجاب المركيز باختصار.

«اذن من لدينا هنا؟».

«قد أكون مخطئاً» أجابها:

«لكن حدسي يخبرني انك على وشك ان تقابلي عدداً من أقاربنا الأجلاء».

«آه، لا، لا آمل ذلك!» قالت لوتشيانا بخيبة لكن المركيز كان على حق.

فالأخبار داخل أولمبيك كانت تتحدث عن الفتاة الشابة ابنة المركيز السابق والتي وصلت الى القصر منذ مدة. ولا شك هذه الأخبار قد دفعت بقية أفراد العائلة للقدوم الى القصر للتعرف على ابنة العم الغائبة منذ عشرات السنوات.

صعدت لوتشيانا لتبديل ملابسها وحين نزلت اتجهت الى غرفة الصالون حيث كان المركيز وبقية أفراد عائلته. الشبه الكبير بين الأشخاص داخل الصالون وبين اللوحات العائلية التي كانت منتشرة على جدران غرفة المائدة أخبر لوتشيانا ان كل الموجودين هنا هم من آل فلوتشيانو.

كانوا حوالي الخمس عشرة شخصاً وكان هناك بينهم بعض السيدات الأنيقات المرتديات الحلي البراقة والملابس المخملية الواسعة. والرجال بأجملهم يشبهون بعضهم البعض ببذاتهم الرسمية وتسريحة شعرهم وبشكل

عام بدا الجميع كعائلة جميلة المنظر وبادية التماسك. وما كان يثير الدهشة انهم قد أتوا ليس فقط لأنهم عرفوا بوصول قريبتهم الى القصر بل أيضاً لأنهم عرفوا بأمر الثروة الهائلة التي ورثتها. وبعد ان عرفها المركيز على الجميع وعرف كل منهم عن نفسه عرفت لوتشيانا ان خبر ثروة نارسيسكا قد أصبح معروفاً لهم جميعاً وجاء هذا على لسان احدى العمات التي عانقتها وقالت:

«لطالما كنت متشوقة لمقابلتك مجدداً، نارسيسكا، مع انك دون شك لا تذكرين كم حملتك وأنت طفلة».

«أخشى انني... لا أذكر».

«كنت شقية جداً وأنت صغيرة... تابعت العمة:

«وأنا وجدتك كنا نقضي الساعات الطوال بالثرثرة والتحدث عنك وعن حركاتك».

«لا شك انك قد افتقدتها حين رحلت» أجابت لوتشيانا.

«أنا لم أفتقدها فقط بل شعرت بالألم لعدم ردها على رسائلي التي كنت أرسلها لها، حين علمت انها قد توفت دون ان تترك لي ولا حتى ذكرى صغيرة بالرغم من الحب الكبير الذي كان يربطنا فقد شعرت بالأسف الشديد والألم لذلك».

«في الواقع جدتي لم تترك أية ذكرى لأي شخص».

«أعرف هذا» جاءها الرد:

«لقد حصلت انت على كل شيء! يجب ان تعتبري نفسك بالغة الحظ بالحصول على ثروة هائلة فيما بقية أفراد العائلة لم يحصلوا ولا على فلس واحد».

لأن صوت العمة أصبح حاداً الآن فقد تساءلت لوتشيانا كيف عرفت العمة هذه بهذا الأمر فمن المفترض انها هي

الوريثة والوصي فقط يعرفان بذلك.

وكأن العمة شعرت بالتساؤل الدائر بخلد لوتشيانا فقد قالت:

«حين ذهبت الى مكتب محامي العائلة وطلبت منه بإلحاح اطلاعي على وصية جدتك فعل هذا وانذهلت أنا للثروة الهائلة التي جمعتها جدتك باستثماراتها خارج اليونان بعد رحيلها عن أولمبيك».

شعرت لوتشيانا بالانزعاج من حشرية هذه القريبة ومن استسلام المحامي لها واطلاعها على الوصية.

وكأن المركيز شعر بانزعاج لوتشيانا فقد اقترب منها وقال بابتسام معتذراً من العمة العجوز:

«آسف عمة ميلاني لكن الجميع يطالب بنارسيسكا ولا نستطيع حجزها في مكان واحد فقط».

تناولوا جميعاً طعام الغداء وتتابعت الأحاديث بينهم. والمحادثة التي جرت بينها وبين العمة أخبرتها ان أقاربها المفترضون هؤلاء كانوا ينظرون اليها بفضول وحسد وبدون شك ببعض الحقد أيضاً.

كانت تشعر بالحدة في أصواتهم حين يسألونها عن مخططاتها المستقبلية وعن المكان الذي ترغب بالاستقرار به.

«تستطيع ان تأتي للعيش معي اذا أرادت» قالت العمة ميلاني عند سماعها ذلك السؤال.

وقبل ان تتمكن لوتشيانا من الاجابة سمعت أحدهم يقول:

«تعرفين ان هذا لن يكون ملائماً حضرة الدوقة، ميلاني كنت في الواقع أفكر ان نارسيسكا ستكون مرتاحة تماماً

ببقائها في منزلي. فبعد كل شيء ابنتاي كارمن وبيلار بمثل عمرها وسيكون لدى الفتيات الكثير ليقمن به سوياً».

هذه الجملة أثارت حملة من الانتقادات وتراءى للوتشيانا ان الجميع على وشك القتال للحصول عليها كأنها عظمة بين مجموعة من الكلاب الجائعة.

وأدركت ان كل هذا الاهتمام كان بسبب ثروة نارسيسكا الهائلة. وأدركت مجدداً ان نارسيسكا كانت أكثر من محقة بعدم حضورها الى هنا وإلا فكان على سعادتها وسعادة جيوفاني السلام. وشعرت لوتشيانا فجأة بالعار كون عائلة ثرية وعريقة مثل هذه تتصرف بهذه الطريقة وتتكالب على المال وزيادته بطريقة أنانية وجشعة ومنفرة.

وصلت المناقشات بهذا الموضوع الى نهايتها فقط حين تكلم المركيز بصوته المسيطر الواثق وقال:

«أنا واثق ان جميعكم يظهر كرمه الفائق بعرضه لإقامة نارسيسكا عنده، لكن بما انني الوصي عليها فقد وضعت الخطط المستفيضة فيما يتعلق بمستقبلها وسأطلعكم على ذلك في حينه».

«خطط؟» استفسرت الدوقة:

«لكن لماذا كارلو تشغل نفسك بأمور نارسيسكا؟».

«لأن نارسيسكا يتيمة وأنا رأس العائلة الآن» قال المركيز بلياقة.

صمت الجميع لعدم معرفتهم بماذا يردون على هذا ولأن لوتشيانا شعرت بارتباكهم فقد قالت بصوتها الرخيم الناعم:

«شكراً جزيلاً... لكم جميعاً على لطفكم. أنا... متأثرة جداً لإصرار الجميع على تضييفي عنده، والآن

أنا... أنا لا أشعر بالوحدة كما... كان حالي في السابق».

«آه، يا طفلتي العزيزة ليس عليك ان تشعري بالوحدة أبداً» علق أحد الأقارب:

«فبعد كل شيء نحن جميعاً من آل فلوتشيانو وعلينا التماسك ومساعدة بعضنا البعض عند الحاجة».

«بالطبع» وافقت الدوقة ميلاني:

«وهل فكر أي واحد بنا بفعل العكس؟».

الرد الغير منطوق رفرف داخل القاعة لكن بما ان أحدهم لم يرغب بإظهاره علناً فلم يقل أحدهم ان الكونتيسة فلورينا فلوتشيانو هي التي نزعت نفسها عن الجميع ورحلت بعيداً بمفردها ولم تعد الى هنا أبداً.

وحين قاربت الشمس على الغروب أخذت الجموع تنفض وأخذ أفراد العائلة يودعون المركيز ولوتشيانا وينحازون بها بعيداً عن مسمع الآخرين ليقولوا:

«لا رغبة لدينا لمعارضة خطط كارلو حولك يا طفلتي العزيزة، لكن فقط أخبرينا اذا كنت غير سعيدة».

الدوقة ميلاني على كل حال، كانت أكثر صراحة من الباقين وقالت لها بجرأة:

«اذا تم دفعك للقيام بأمر لا ترغبين به فأنا من سيعتني بك ولو كان فقط من أجل والدك».

«شكراً لك» ردت لوتشيانا.

أمسكت الدوقة بيدها بعد هذا وشدت عليها بحرارة وسحبتها بعيداً وقالت:

«الآن استمعي لي يا طفلتي. لا تستعجلي بالزواج من أول رجل يدق بابك. بثروة مثل ثروتك بإمكانك الاختيار

والانتقاء».

ابتسمت لوتشيانا لها ولم تعلق بشيء.

«وسيكون من التعقل سؤالي رأيي قبل ان تقبلي بأي عرض» قالت العمة الدوقة.

«من اللطف منك الاهتمام بي، عمتي».

«لقد سمعت ان اللورد فرناندو بيرغن كان هنا، هل هو متقدم للزواج منك».

لم تجد لوتشيانا سبب للكذب فقالت:

«أعتقد هذا».

عبست الدوقة وقالت:

«لقد اعتقدت هذا حين سمعت انه كان هنا لكن علي تحذيرك فهو بحاجة لحقيبة من المال وليس لزوجة لتحسين وضع ممتلكاته ومزارعه وهو دون شك يطمع بثروتك وعليك اختيار زوجك بعناية وليكن يونانياً أصلياً».

«سأتذكر هذا، عمتي».

نظرت الدوقة الى طرف الغرفة حيث كان المركيز يتحدث مع أحد الأقارب وقالت:

«كارلو بدوره لم يقضي هنا معظم سنوات عمره لكنه سيتأقلم مع ما حوله بظرف سنة واحدة على أبعد تقدير، هذا ما نأمله جميعاً».

طريقة تحدث الدوقة كانت ممتعة ومسلية وشعرت لوتشيانا لرغبتها في الضحك. لكنها امتنعت عن ذلك فقد اقتربت ابنة أحد العمات وزوجها وقالت:

«نحن نقطن على بعد أربعة أميال من القصر وسنكون أكثر من سعداء اذا قبلت دعوتنا لك على العشاء مساء الأحد القادم، نارسيسكا. أنا متشوقة جداً جداً لتقابلي

ولداي، هما كلاهما شديدا الجاذبية ومن الجيد للأقارب التعارف على بعضهما البعض».

«ما تأملينه» قالت الدوقة ميلاني:

«ان تتزوج نارسيسكا من واحد من أبنائك. واذا فعلت، فهي ستحتاج لكل مالها لتأمين بقاءهما على طاولة المراهنات والروليت».

«كيف بإمكانك التلفظ بهذه الكلمات القاسية، خالتي ميلاني؟». سألت الوالدة الملتاعة بنبرة لائمة.

«أنا دائماً أقول الحقيقة، وأنت تعرفين هذا» ردت الدوقة:

«ولهذا على نارسيسكا سماع كلامي أنا وليس الاستماع لرغوة الصابون التي يستعملها الباقون منكم، أنا ذاهبة الآن».

ابتعدت الدوقة لوداع المركيز كارلو ووالدة الشابين قالت للوتشيانا:

«لا تستمعي للخالة ميلاني. مع اننا جميعاً نحترمها ونجلها الا انها امرأة سليطة اللسان بكثير من الأمور عديني انك ستقبلين دعوتي لك على العشاء».

«سأناقش الأمر مع حضرة المركيز» ردت لوتشيانا:

«فكما تعرفين يجب ان أحصل على موافقته قبل القيام بأي أمر».

«أجل بالطبع» كان الجواب:

«بنفس الوقت، مع ان كارلو يقوم بكل واجباته بوصفه يمثل رأس العائلة ولكنه لا يزال شاباً ليكون مسؤولاً تماماً ووصياً عن فتاة يافعة بمثل سنك».

«أعتقد ان هذا أمراً أنا صاحب القرار فيه» قاطعها المركيز بنفسه.

لوتشيانا والمرأة الوالدة أظهرا ذهولهما من وصوله اليهما دون ان يشعرا.

فاحمرت وجنتا القريبة وقالت:

«أنا لا أقصد الاهانة أبداً أنا فقط كنت أفكر ان نارسيسكا ستكون أكثر سعادة ببقائها ضمن عائلة».

المركيز لم يرد لكن لوتشيانا رأت البريق الساخر داخل عيونه وأدركت انه مثلها يشعر بالتسلية من عروض الضيافة هذه والتي كانت مقدمة لثروة نارسيسكا وليس لشخصها.

حين رحل أخيراً آخر أفراد آل فلوتشيانو تنهدت لوتشيانا بارتياح.

وتنفس المركيز الصعداء وقال:

«آمل ان تكوني قد استمتعت بعروض النفاق والزيف هذه».

ضحكت لوتشيانا بمرح. فتابع المركيز:

«أتساءل ان كانوا سيمطرونك بوابل من الدعوات لو كنت فقيرة ولا تملكين فلساً واحداً!».

لقد خطرت نفس هذه الفكرة على عقل لوتشيانا أثناء الغداء فضحكت وقالت:

«لربما هم يقصدون حقاً ان يكونوا لطفاء».

«الناس دائماً لطيفة مع الأغنياء».

«أعتقد ان هذ تعليقاً ساخراً ومتحيزاً» ردت فوراً:

«قد يكون بعضهم يدعي اللطف لكن البعض الآخر يكون لطيفاً حقاً».

«حين يكون أقربائك الأعزاء هم محور الموضوع فإن

كل شيء جيد يقولوه لك يكون كالملح الذائب».

«قد يتضمنك هذا أيضاً».

«لقد خمنت انك قد تعلقين بهذا» قال:

«وحين اقترحت مسألة زواجك من اللورد بيرغن فقد كنت مقتنعاً بصدق انه من وجهة نظر المرأة اللورد هو جُلّ ما تطلبه وتفضله».

كان يتكلم بصدق واضح وأدركت لوتشيانا ان ما يقوله كان حقيقياً. ولكن لتغيظه قالت:

«حسناً، على الأقل بإمكاني الآن اختيار من أشاء! أدركت ان كل فرد من أقربائي لديه النية للأخذ بيدي بالاختيار... ودون ذكر بالطبع مسألة اهتمامهم بميراثي».

«من هو الساخر الآن؟» سألها المركيز:

«وعلى كل حال، هل لي بتذكيرك ان عليك الحصول على موافقتي قبل تمكنك من الزواج بأي شخص؟».

«هل تقول انك تستطيع ان تبزّ كل أقاربك وأبناء عمومتك في هذه المبارزة؟» سألته لوتشيانا:

«عندي شعور انهم سيعتبرون هذا الأمر أكثر الأمور الغير لائقة وغير رياضية بما انك انت نفسك عندك المال وتراهن على حصان آخر».

ضحك المركيز مقهقهاً باستمتاع حقيقي.

«انت دوماً تدهشينني وتفاجئيني نارسيسكا» قال:

«أنا واثق ان معظم النساء لن تتناول موضوع زواجهن بالطريقة المرحة التي تتناولينه انت بها».

«وهل تفضل ان أحني رأسي بخجل وأن تحمر وجنتاي بحياء؟» سألته لوتشيانا:

«لقد شعرت بهذا بالضبط حين فتحت أول مرة موضوع

www.elromancia.com

زواجي لكن الآن يبدو ان هذا الموضوع بالذات هو الموضوع العام لأي محادثة واحد من الصعوبة علي بمكان أحمر خجلاً».

صمت المركيز للحظات ثم قال:

«عندي الانطباع نارسيسكا، انك لا تأخذين هذا الموضوع المصير بالنسبة لك على محمل الجد كما أريدك ان تفعلي» توقف للحظات قبل ان يتابع:

«لا أستطيع التعبير عما أريد قوله تماماً. كما قلت سابقاً، أنا جاهل تماماً بالأمور المتعلقة بالفتيات الشابات أمثالك لكن هناك شيء ما ـ لا أستطيع وضع اصبعي عليه لكنه موجود هناك ـ وهو يخبرني انت تلعبين بي نارسيسكا».

حدقت لوتشيانا به وأدركت انه يتمتع بحدس قوي أكثر مما توقعت. وحتى تقطع عليه طريق التفكير بسبب شعوره الغريب هذا فقد قالت:

«أرفض ان أزعج نفسي بالتفكير بهذا الأمر في الوقت الحالي واذا كنت تذكر، فقد اتفقنا على اصطياد السمك من البحيرة لهذا اليوم».

«أنا لم أنس هذا، لكني اعتقدتك انت من نسي».

«الآن انت تصطاد لكن بطريقة مختلفة» قالت لوتشيانا بابتسام:

«واذن ما الذي ننتظره؟».

ضحك المركيز وهما يسيران نحو الاسطبل ومنه يمتطيان الفرسين وينطلقان نحو البحيرة.

كانا يجلسان بهدوء على حافة الجسر ويمسكان بقصبات الصيد حين قال لها المركيز:

«كيف بإمكانك ان تكوني بهذا الذكاء فيما كنت أعتقدك مختلفة لما انت عليه؟».

«لا بد انك كنت تعتقدني بلهاء صغيرة العقل وتافهة» قالت لوتشيانا بابتسام.

«أعرف الآن انه ليس علي فقط اعادة تقييمك بل علي اعادة التفكير بذكائي ومعرفتي».

«هذا دون شك اعتراف أثمن من كل كنوز الأرض والذي أرغب بكبسه مثل وردة والاحتفاظ به بدفتر مطوي» علقت لوتشيانا بإغاظة.

«غريبة هي طريقة استعمالك الكلمات كأنك ترسمين بها صورة».

«الصورة الحقيقية الآن ان صنارتك تهتز ولا شك ان سمكة بلهاء ما قد أمسكت بالطعم وستصبح بعد قليل طعاماً لنا».

قهقه المركيز مجدداً وشعر بالاثارة وهو يرفع صنارته التي علقت بها سمكة متوسطة الحجم كانت تقفز ذات اليمين وذات الشمال للتخلص من الصنارة لكن محاولتها هذه كانت تثبت الكلابة داخل فمها وتعجل بموتها.

«والآن جاء دوري لأصطاد سمكة وأراهن انها ستكون أكبر من سمكتك المسكينة هذه» علقت لوتشيانا بسعادة وهي تحدق بالمياه أمامها.

ضحكا وقضيا الوقت بالثرثرة الى ان شارفت الشمس على الغروب فحملا أغراضهما وصيدهما وعادا أدراجهما الى القصر.

تناولا العشاء ثم شعرت لوتشيانا بالتعب وبتردد استأذنت المركيز للخلود الى النوم.

«لقد اقترحت ان نقوم بجولة على التلال الغربية غداً صباحاً أليس كذلك؟».

«أجل» قال:

«وبما ان الرحلة ستستغرق ساعات طوال فتحضري ليكون غدائك ساندويتشاً خفيفاً في أحد المطاعم الصغيرة المنتشرة هناك».

هزت لوتشيانا رأسها وقالت:

«لا بأس بعض التقشف بين الحين والآخر وأنا أحب الساندويتشات الخفيفة».

«جيد جداً، هذا ما سنفعله وسأطلب من الطاهي تحضير الفطور في الساعة السابعة صباحاً اذا استطعت ان تجهزي بهذا الوقت».

«لن أتأخر عن هذا الموعد» وعدته لوتشيانا:

«تصبح على خير ابن العم كارلو لقد استمتعت بهذه الأمسية».

«كذلك أنا» اعترف المركيز.

انحنت بوداع ولشدة دهشتها أمسك هو بيدها بين يديه.

«تصبحين على خير نارسيسكا» قال:

«أرجوك تابعي ادهاشك أو لنقل اذهالك لي، لأن هذا أمر يمتعني ويفرحني».

كان يتكلم بجدية ثم رفع يدها الى شفتيه وقبلها.

لم تتوقع لوتشيانا ان يفعل هذا وحين شعرت بضغط فمه على راحة يدها أحست بإحساس غريب لم يسبق لها وشعرته من قبل.

للحظة ظلت ساكنة وعيونها مركزة على وجهه باستفسار. ثم وبسبب خجلها سحبت يدها من يده وتركت المكان

بسرعة صاعدة الى غرفتها دون ان تلتفت الى الوراء.

كان ينتابها شعور ان المركيز كان يراقبها لكنها أقنعت نفسها انها كانت تتخيل ذلك.

جافاها النوم تلك الليلة وهي تفكر بالمركيز وبطريقة تقبيله ليدها. كان حري باللورد ان يقبل يدها بهذه الطريقة بوصفه عريس المستقبل لكن ليس المركيز. لكن تصرفه هذا ثم بتلقائية وطبيعية وأدركت انه مثالي وكامل بكل شيء وبالتالي فهو مهما فعل لا يبدو سخيفاً أو سيئاً بأي طريقة من الطرق.

كانت على وشك الاستغراق بالنوم حين سمعت صوت طرقة على بابها ورأت أحدهم يدخل وبيده شمعة صغيرة.

طار النوم من عيون لوتشيانا وهتفت:

«من هناك؟».

«أنا لودميللا سيدتي» قال الصوت وكانت لودميللا خادمة جديدة مضى عليها أسبوع فقط في العمل داخل القصر.

«لودميللا؟ لكن... ما الأمر؟» سألت لوتشيانا باستغراب.

«انه سيدي المركيز سيدتي لقد سقط عن الحصان وهو يعود متأخراً من العمل وهو يطلبك حالاً».

لم تستوعب لوتشيانا ما حدث وهتفت وقد نهضت عن فراشها:

«المركيز... سقط عن الحصان... كيف؟».

«لقد استدعوه لحالة طارئة في المزرعة وبطريق عودته كبا الحصان به وأسقطه على الأرض».

«ولكن... هل... هل... حدث شيء له» صاحت لوتشيانا وهي تهرع الى خزانتها وتتناول أول روب وصلت

يدها اليه.

«لقد جرح وهو يطلبك في الحال».

«هيا سيري أمامي وخذيني اليه» قالت لوتشيانا وقلبها يكاد يخرج من بين ضلوعها للهفتها على المركيز.

سارت خلف الفتاة والظلام يكتنفهما الا من ضوء الشمعة الخافت واستغربت لوتشيانا خطوات الفتاة السريعة جداً والتي كانت تسير كأنها تخشى من أمر ما لم تكن تلتفت خلفها وأيضاً ازدادت دهشة لوتشيانا لأنهما كانا يتجهان عبر الباب الخلفي، الخاص بالخدم، الى الحديقة الخلفية للمنزل. بما ان الفتاة كانت تبعد عن لوتشيانا بمسافة ليست قصيرة فلم تستطع لوتشيانا سؤالها أي شيء وأيضاً شعرت لوتشيانا بالخوف من الظلام الذي كان يكتنف كل شيء حولها فحثت الخطى خلف الفتاة وعقلها مشلول عن التفكير لخوفها وقلقها على المركيز.

فتحت لودميللا الباب الصغير المؤدي الى الحديقة وسارت في الظلام تبعتها لوتشيانا بلهفة وفجأة رمي عليها شيء كثيف وداكن وانعدمت رؤيتها تماماً.

صرخت برعب ولكنها أدركت انه حتى صوتها تلاشى في طيات الدثار السميك الذي غطيت به.

بنفس اللحظة رفعتها أذرع قاسية.

«ماذا... ماذا يحدث؟... انزلني... أنزلوني!» حاولت ان تقول لكن صوتها أتى مكبوتاً ومنخفضاً لأن الدثار حول رأسها كان يمنع عنها حتى الهواء. ورفعتها الأذرع الصلبة بشدة حتى شعرت كأنها تكاد تعتصر ثم رميت بقساوة داخل مكان ما وأدركت انه عربة لأن العربة تحركت فوراً وكانت تشعر ان الدواليب تسير تحتها مباشرة.

ثم اجتاحها الرعب مما حدث وأدركت انها قد تعرضت للإختطاف.

العربة كانت تسير بسرعة وعلى طرقات مملوءة بالحفر وبالحصى وكادت لوتشيانا ان تغيب عن الوعي لشدة الاهتزاز ولشدة الخوف وكانت تشعر ان رجلاً ما كان يجلس بجانبها ورغم الاهتزاز الشديد فقد سمعت صوت تنفسه المنتظم مما يدل انه قد استغرق بالنوم، ومع ان كل ما كانت تريده هي ان تصرخ بقوة وبشدة الا انها أدركت عدم جدوى هذا العمل أولاً لأن أحداً لن يسمعها هنا سوى الرجل أو الرجال الموجودين داخل العربة وثانياً ان القماش السميك حول رأسها كان شديد الكثافة الذي يصعب عليها مجرد التنفس.

ورعبها الشديد كان مما قد يحصل لها. لا شك ان الخاطف أو الخاطفين يسعون دون شك للحصول على المال. فبعد ان انتشر خبر ثروتها الهائلة بين أفراد آل فلوتشيانو فهذا الخبر بالتالي انتشر بين كل خدم العائلة ووصل الى مسامع جميع أهل الأولمبيك والجوار. وهي كانت غبية كفاية بالسماح لهؤلاء المجرمين باختطافها، لكن كيف كانت ستعرف ان لودميللا الحقيرة مشتركة معهم؟! هي لم تشك مطلقاً ان أحد عمال القصر سيكون له يد بمثل هذه المؤامرة! على كل حال ما حدث قد حدث ولا مجال للندم الآن. عليها التمسك بالصبر والشجاعة حتى ترى نهاية هذا الأمر. ولكن ماذا اذا رغب الخاطفين بتعذيبها أو بإيذائها ارتعشت مفاصلها لهذه الفكرة وطردتها فوراً من رأسها وأخذت تصلي بعمق حتى يكون الله معها ويساعدها ويحميها.

ومع ان يديها كانتا حرتا التصرف الا انها لم تجرؤ على رفع الغطاء عن وجهها فقد تتعرض للأذية من الأشخاص أو الشخص الجالس قربها.

فجأة أدركت ان احدى قدميها شديدة البرودة وعرفت انها قد فقدت فردة حذاءها الخاص بالنوم حين انتزعت بقوة عن الأرض ووضعت في العربة.

الآن الأحصنة كانت تتحرك ببطء شديد وشعرت ان الأرض هنا كانت قاسية وقاحلة.

لقد استمرت هذه الرحلة لمسافة طويلة وفكرت بيأس انه حتى ولو بحث عنها المركيز جيداً فقد لا يجدها.

توقفت الأحصنة وفتح من كان يجلس قربها باب العربة وللمرة الأولى سمعت صوته.

«ألا يمكنك الاقتراب أكثر روموللوس؟» قال الصوت الخشن.

ثم سمعت صوت أكثر خشونة يقول:

«كلا، اذا فعلت فقد نعلق بين الأشجار».

«لا بأس اذن» قال الرجل الأول:

«اربط الأحصنة وأحضر المصباح».

«كلمة الأشجار دلت لوتشيانا انهم دون شك داخل غابة ما.

نزل الرجل من العربة ودار حولها ثم فتح الباب الملاصق لها وحملها بخفة وقسوة وسار وذراعيه حولها وهو يحملها كأنها كيس بطاطا أو ما شابه.

مجدداً أرادت الصراخ لكنها امتنعت عن ذلك ووجدت ان الرجل يتبع مساراً متلوياً فأدركت انه يسير بين الأشجار دون شك سار لمسافة قصيرة ثم توقف.

«افتح الباب» سمعت صوته للمرة الثانية.

«انتبه لرأسك» قال الآخر.

سار لخطوتين بعد ثم وضعت لوتشيانا على الأرض بقوة.

سمعت الرجلين يتحركان داخل المكان ثم فجأة وبدون توقع سحب الغطاء الكثيف عن رأسها وأعمى ضوء المصباح القوي عيونها للحظات.

أول شيء رأته بعد الغشاوة كان وجه رجلين يحدقان بها. كان أحدهما شديد الفظاظة بملامح قاسية وشوارب كثة فيما كان الآخر أصغر سناً وبوجه عادي الملامح وعيون سوداء واسعة. لم يتكلم أي منهما فصححت لوتشيانا من وقفتها وأخذت نفساً قبل ان تقول:

«من... انتما... ولماذا... لماذا أحضرتماني... الى هنا؟».

الرجل الفظ ابتسم بطريقة غير جميلة وقال:

«سأقول لك لماذا أحضرناك الى هنا آنسة فلوتشيانو وسأقول لك بسرعة، نحن نريد مالاً، ونريده فوراً».

«أشك اذا ما كان حضرة المركيز... الوصي علي سوف... سوف يدفع... لكم».

ضحك الرجل وقال:

«انت لا تعتقدين حقاً اننا سنطلب المال منه؟».

نظر الى الرجل الآخر وقال:

«هيا روموللوس أطلعها على ما يجب فعله».

«أجل، أجل» قال الآخر وهو يتناول من جيبه بعض الأراق وتابع:

«كل ما عليك فعله آنسة فلوتشيانو هو وضع توقيعك

الجميل على هذه الشيكات الثلاث التي كتبتها عنك».

لم تجب لوتشيانا بل نظرت من الواحد للآخر وقالت:

«لكن من أنتما؟ أنا لم يسبق لي مشاهدتكما من قبل».

«أنا روملوس خطيب لودميللا، لودميللا الخادمة في قصركم وهذا خوليو شقيقها».

«أجل ونحن نريد منك حقوقنا المشروعة لنا» قال المدعو خوليو.

«ماذا تقصد بهذا؟».

«لقد عمل خوليو وأنا في اسطبل القصر للعناية بالخيول لكن المركيز المبجل طردنا لأنه اكتشف بعض النقص في الحبوب والأعلاف» أوضح روملوس.

«أجل واتهمنا نحن بالسرقة، وحتى وإن فعلنا فنحن فقراء وبحاجة للمال وهو يملك منه الكثير».

«لكن هذا لا يبرر السرقة» هتفت لوتشيانا فوراً.

«يبرر أو لا يبرر المهم الآن عليك توقيع الشيكات وإلا...».

صاح خوليو الفظ وترك جملته دون اكمال مما زاد من خوف لوتشيانا.

أدركت لوتشيانا ان اي شيء ستقوله لهما لن يمنعهما من طلب المال منها ولو أطلعتهم على الحقيقة وأنها لا تملك فلساً واحداً لغرقا بالضحك واعتبراها تمزح أو تضحك عليهما.

كانا ينتظران رداً منها فأخذت نفساً وقالت:

«حين أوقع هذه الشيكات... كما تريدون... ماذا تنويان... ان تفعلا بي؟» رغماً عنها أظهر صوتها مدى خوفها ورعبها.

ابتسم خوليو بطريقته المنفرة وقال:

«أعتقد ان أحدهم سيجدك عاجلاً أم آجلاً واذا شعرت بالجوع بهذه الأثناء فتذكري ان هذا ما أراده لنا مركيزك المبجل».

«تعرفون انه... اذا قبض عليكم بتهمة... الابتزاز فإن السجن والعقوبة ستكون قاسية جداً؟» سألت بتردد.

«لن يقبض علينا أحد» أجاب روملوس:

«نحن سنسافر أليس كذلك خوليو؟ سنأخذ لودميللا معنا ونرحل هيا الآن تفضلي بتوقيع الشيكات».

ناولها الأوراق الثلاث والتي كانت موجهة لمصرف بلوتشانو بفرعيه في أثينا وفي قبرص وكان من المتعارف عليه ان كل شؤون آل فلوتشيانو المادية موجودة بهذاالمصرف وفروعه فقط.

أمسكت الأوراق الثلاث ووجدت ختم القصر عليها لا شك ان لودميللا قد سرقت هذا أيضاً دون ان يشعر أي أحد بذلك.

المبالغ كانت خمسة آلاف، ستة آلاف وثمانية آلاف. الرجلين كانا يراقبانها فقالت:

«وهل تعتقد ان المصرف سيدفع لكما هذه المبالغ دون أي استفسارات؟».

«ولم لا؟» سألها روملوس:

«المبالغ صغيرة بالنسبة لأنسة بالغة الثراء مثلك وسيعتقدون انك تريدين شراء بعض الملابس أو الحلي. وهذا لن يدفع أي شخص للشك بنا».

«اذا طلبت رأيي فالأفضل ان نطالب بمبلغ أكبر من هذا» قال خوليو بفظاظة:

«ليكن خمسون ألف روملوس. نستطيع النجاح بهذا».

«لا» قال روملوس بتصميم:

«سيشكون بنا اذا زودنا هذه المبالغ. فحتى بالمبالغ القليلة هذه فإن المخاطرة لا تزال موجودة».

قطب خوليو وقال:

«اذا اكتشفونا فسأقتلك روملوس».

«لن يكتشفونا هيا الآن آنسة فلوتشيانو تحركي».

فكرت لوتشيانا بإمضاء اسمها هي ولكن السارقين قد يهربا فور ان يشعرا في ان هناك خطاءاً ما داخل المصرف وقد يعودا اليها للإنتقام فيما تكون هي لا تزال هنا في هذا الكوخ المرعب فالمركيز قد لا يجدها أبداً أو قد يستغرق بحثه عنها أسابيع قبل ان يجدها في هذا المكان المعزول. أو بإمكانها تقليد امضاء نارسيسكا لكسب الوقت وأفضل ما عليها فعله هو مساومة هذين اللصين.

لم تمسك القلم بل قالت:

«بعد حصولكما على المال هل ستأتيان لتطلقان سراحي؟».

حدق خوليو بها بغباوة وقال:

«ماذا لن نأتي أبداً ولتذهبي الى...».

لكن نظرة روملوس اليه جعلته يتوقف عن الكلام، ثم كأنه فهم ما يقصده روملوس بحركته هذه فقد تابع بنبرة أرق:

«آه أجل سنأتي لتحريرك فما حاجتنا لتبقى هنا محبوسة فيما نحن قد حصلنا على ما نريد».

أدركت لوتشيانا انه بعد حصولهما على الشيكات الموقعة فإنها لن تشاهد وجههما أبداً.

سأوقع اسم نارسيسكا بطريقتي أنا، قالت بنفسها وهي تمسك القلم.

وكأن روملوس قد قرأ أفكارها فقد قال:

«اياك والتفكير بخداعنا آنستي وإلا فإنك ستندمين على ذلك».

«ماذا تقصد بخداعنا؟ ماذا تعتقد انها ستفعل؟» سأل خوليو باستغراب.

«قد توقع الشيك بطريقة مختلفة فيمتنع المصرف حينها عن صرف المبلغ».

تطاير الشرر من عيون خوليو الضخم وهتف:

«أقسم انها اذا فعلت فسأهشم رأسها بقبضتي هذه، لقد نلت كفايتي من قريبك ولن أتحمل المزيد منكم».

تقلص قلب لوتشيانا من الرعب وقالت بسرعة:

«سوف... سوف أوقع... كما تريدون».

«هذا أفضل» هدد خوليو بخبث.

فتناولت القلم ووقعت بنفس توقيع نارسيسكا الذي كانت تعرفه جيداً.

حالما انتهت صاح خوليو:

«والآن لنرى مدى سرعة الأحصنة التي استأجرتها لنقلنا الى أثينا».

«سنكون هناك قبل شروق الشمس».

«آمل ان تكوني مرتاحة سيدتي» قال روملوس بسخرية: «سيجدك أحدهم دون شك قريباً الى اللقاء وشكراً».

«أرجوكم لا تتركوني هنا في الظلام» قالت بهلع حين حمل خوليو المصباح معه بطريقه خروجه خلف روملوس.

الا ان الباب أغلق وسمعت صوت المزلاج يقفل عليها

من الخارج وسيطر الظلام على كل شيء حولها.

كانت لا تزال جالسة على الصندوق الخشبي الكبير فجمعت يديها معاً وتساءلت عن المدة التي ستقضيها في هذا المكان الموحش قبل ان يجدها المركيز. قد تموت من الجوع وحينها لن يجد من يكتشفها هنا سوى عظامها ارتعشت بشدة للفكرة لكنها طردتها من رأسها لعلمها ان الله لن يتخلى عنها وسيساعدها دون شك.

يجب ان أكون متعقلة، قالت بنفسها:

«سأنتظر طلوع الصباح وحينها قد أجد وسيلة لمغادرة كوخ الحطابين هذا!».

فقد شاهدت على ضوء مصباح اللصين ان الكوخ مصنوع من قطع الخشب السميكة وأنه لا يحتوي الا على باب الخروج والذي أقفل الآن من الخارج. هي تعلم ان الخروج من هكذا مكان قد يكون مستحيلاً الا ان أملها لم يخبو وغفت رغم قلقها ورعبها على أمل جديد مع شروق الشمس ولسان حالها يقول:

«سيجدني المركيز... سيجدني... أعرف انه سيفعل...» ثم حين اشتعل جسدها وقلبها حنيناً لرؤيته أدركت وكسطوع البرق انها كانت... تحبه... تحبه أكثر حتى من حياتها.

استيقظ المركيز صباح اليوم التالي والسعادة ترفرف داخله لعلمه انه سيقضي النهار بأكمله بصحبة لوتشيانا وما ان فتح عينيه حتى سمع طرقاً على بابه.

«ادخل» قال.

كان القادم المربية ماريا التي كان وجهها يعبر عن كل الهلع والرعب:

«سيدي... سيدي هناك مصيبة... الآنسة نارسيسكا غير موجودة... في غرفتها... ولا في أي مكان آخر».

نهض المركيز عن فراشه بسرعة وقال:

«قد... قد تكون على الشرفة أو على السطح تشاهد بزوغ الشمس».

«كلا سيدي لقد فتشت والجميع... في كل مكان ولم نجدها وأيضاً... ينقص من ملابسها روب واحد و...».

قطع كلامها وصول رئيس الخدم أيضاً الى غرفة المركيز وهو يحمل فردة حذاء لوتشيانا:

«سيدي لقد وجدنا هذا قرب الباب الخلفي، في الحديقة».

عند هذه النقطة اصفر وجه المركيز وأسرع بارتداء ملابسه وهو يقول:

«استدعي لي كل العمال والمزارعين أريدهم في الحديقة بعد عشر دقائق».

هرع المركيز الى الحديقة الخلفية وتبعته المربية ماريا.

وصل الجنائني بنفس اللحظة وقال:

«سيدي المركيز أنا متأكد ان آثار هذه العربة لم تكن هنا البارحة مساءاً حين أويت للنوم فأنا أتفقد الحديقة قبل النوم كالعادة وأقسم ان هذه الآثار لم تكن موجودة».

لم ينتظر المركيز ليسمع أكثر من هذا وحين اكتمل عدد العمال والمزارعين وزعهم على الاتجاهات المختلفة وأخبرهم ان الآنسة نارسيسكا مفقودة وأنه يريدهم ان يفتشوا كل جزء من الممتلكات دون ان يتركوا منزل ولا حفرة ولا شجرة الا ان يبحثوا بها.

«هل تعتقد حضرتك ان الآنسة نارسيسكا قد اختطفت؟»

سأله أحدهم.

«هذا احتمال» رد المركيز باقتضاب.

فقد خطر بباله كم تحدث آل فلوتشيانو بكل أفرادهم عن ثروة نارسيسكا ولا شك ان كل من في البلدة قد عرف بذلك.

اللعنة على المال! قال بنفسه: الشيء الوحيد المهم الآن هو سلامة نارسيسكا!.

حين انتهى من اعطاء الأوامر لرجاله استدار نحو فرسه واعتلى السرج.

واعترته فجأة فكرة مرعبة من ان تكون نارسيسكا قد تعرضت للأذية أو للجر أو للتعذيب من قبل الذين اختطفوها.

رعب هائل تحرق داخل شرايين المركيز وهتف بصوت عالي:

«يجب ان أجدها بسرعة».

توقف المركيز والعرق يتصبب منه وحصانه يلهث بشدة لقد أصبح الآن على طرف الممتلكات الغربي وفكر بيأس انه في حال أخذ الخاطفين نارسيسكا الى مقاطعة ثانية فهذا سيبخر آخر أمل له بإيجادها.

طوال فترة بحثه عنها والتي تعدت حتى الآن الخمس ساعات كان شاعراً ان كل أحاسيسه ومشاعره نحوها كانت تكبر وتتعاظم الى ان أدرك انها تعني له ولحياته الكثير. وبنفس الوقت كان يشعر برغبة عميقة لقتل الخاطفين، نظر حوله ووجد انه على مشارف الغابة التي تقع على حدود الممتلكات.

هاتف ما بداخله حثه على دخول الغابة وبلهفة وسرعة

دخل الغابة والأمل يلون خطواته فقد أدرك انه اذا لم يجد نارسيسكا هنا فإنه لن يتمكن من ايجادها في أي مكان آخر.

صاح بأعلى صوته حين رأى آثار عربة خيول بين الأشجار وبعد لحظات من سيره رأى أمامه كوخاً لحطاب ما على بعد خطوات منه.

أدركت لوتشيانا حين تسربت أشعة الشمس الى داخل الكوخ عبر الشقوق ان الصباح قد وصل. وشعرت بالبرودة الشديدة وكان صوت زقزقة العصافير في الخارج يصم الآذان وشعرت لوتشيانا ان امكانية ايجاد أحد لها في هذا المكان ضئيلة جداً.

اعتقدت انها قد سمعت صوتاً ما في الخارج فصاحت بأعلى صوتها:

«النجدة! النجدة!».

فوراً سمعت صوت حركة سريعة تبتعد عن الكوخ لا شك ان هذا كان حيواناً ضالاً ارتعب من سماعه لصوتها.

أخذت تضرب على الباب بقوة وانهمرت الدموع من عيونها ولم يعد باستطاعتها التحمل لأكثر من هذا.

اهدأي، قالت لنفسها: لا ترتعبي، تجلدي بالشجاعة وآمني بالخلاص.

لأنها قضت الليل شبه مستيقظة فقد أخذت تغفو بين الحين والآخر من شدة الارهاق والتعب واليأس.

ثم فجأة وبدون توقع فتح المزلاج وبهر الضوء عيونها لرؤيتها خيال داكن يدخل الكوخ.

صرخت بصوت هائل لأنها عرفت هوية الداخل من شكل جسده ووجدت المركيز بجانبها ويشدها الى أحضانه.

«لقد... لقد... وجدتني... لقد... وجدتني! لقد... صليت ان تفعل... ان... تأتي! كنت... شديدة الخوف... ان... ان أموت... قبل... قبل ان تأتي!».

«لقد وجدتك» قال المركيز بصوت غريب.

تدافعت الدموع من عيون لوتشيانا واقتربت شفاهه لتلتقط دموعها ثم وصلت الى فمها.

للحظة لم تكن لوتشيانا قادرة على التفكير بأي شيء سوى انه هنا وأنها بين ذراعيه.

ثم حين شعرت بضغط شفتيه على فمها شعرت بأبواب الجنة تفتح لها وأنها بين ذراعيه وأنها تحبه. وتغلغلت أشعة الشمس داخل عروقها ورفعتها السعادة الى الغمام وأحست به يحملها عالياً نحو القمر والنجوم وصعدت النشوة من أعماقها حتى شفاهها وأخذت تبادله القبل. تصلبت أذرع المركيز حول جسدها وأخذ يقبل عيونها وأنفها ووجنتيها ثم عاد الى فمها.

«كيف كان بإمكاني خسارتك؟» سأل بصوت لاهث من شدة العاطفة.

«كنت... خائفة... الا... تجدني» همست بين قبلاته.

«لقد وجدتك ولن أدع هذا يتكرر أبداً».

رفع وجهها اليه وقال:

«كنت يائساً ومرتعباً!».

ثم تابع تقبيله لها بلهفة واندلعت النيران الممتعة داخلها وأدركت انها وهو قد أصبحا جسداً واحداً وروحاً واحدة.

في النهاية، حين رفعتها نشوة قبلاته الى السماوات

شعرت كأنها قد ماتت في الليل وأصبحت في السماء.

«يجب ان آخذك الى المنزل».

رفعت رأسها اليه وقالت بعدم ثبات.

«أنا... أحبك! لقد... حاولت مناداتك... في الليل لأخبرك... عن مكاني... لكني... كنت خائفة... انك... لن تسمعني!».

«كنت مستيقظاً أفكر بك بجاذبيتك وحيويتك وشعرت بانزعاج بسيط لم أستطع تفسيره حينها لكن لقد استغرقني بعض الوقت لأستلم رسالتك ولكني هنا الآن وهذا هو المهم».

أخفت لوتشيانا رأسها في صدره لخجلها من اعترافها له بحبها.

لكنه رفع رأسها وحدق بعينيها وقال:

«لقد أخبرتني انك تحبينني يا حبيبتي وأنا أدركت حين كنت أفتش عليك انني لا أحبك فقط بل لا أستطيع العيش بدونك».

حدقت لوتشيانا به وقلبها في عيونها.

«قد نكون أقرباء جداً والفرق بيننا في العمر كبير لكن هذا لا ينفي حقيقة انك ملكي وأنني لن أدعك تفلتين مني أبداً».

حينها فقط عادت لوتشيانا الى أرض الواقع وأدركت ان عليها قبل كل شيء اطلاعه على الحقيقة ولكن هذا كان مستحيلاً في هذه اللحظة.

ولأنها شعرت بالضعف فجأة فقد وضعت رأسها على كتفه وحاولت بذعر التفكير بما عليها ان تفعل لإخباره انها كانت تخدعه منذ اللحظة الأولى التي وصلت بها الى

أولمبيك.

بهذه اللحظة لم يبدو أي شيء حقيقي سوى كونه قريباً منها وكون ذراعيه حولها يحيطانها بحب وحنان.

رفعها المركيز بين ذراعيه وقال:

«حين تركت القصر، مثل ساندريللا أسقطت فردة حذائك الليلي وأدركت حينها ان خطباً ما قد حل بك».

«لكنك لم تعلم... من الذي اختطفني... وأحضرني الى هنا؟».

«قالت ماريا ان فتاة تدعى لودميللا نايتس التحقت بخدمة القصر منذ أسبوعين أي منذ زيارة الأقرباء الأعزاء لنا وبما انني كنت أعرف انها مخطوبة لشخص يدعى... روموللوس وأنا كنت قد طردته وشقيقها الغليظ من العمل لاختلاسهما المال فقد شككت بهم وتأكدت من شكي هذا حين وجدت ان الخادمة لودميللا مختفية بدورها. وماريا أخبرتني انها لم ترتاح لهذه الفتاة منذ البداية وأنها كانت قد ضبطتها تسترق السمع علينا مرة لكنها وبختها ولم يكن بإمكانها طردها لأن ايجاد بديلة لها صعباً بعض الشيء، الآن...» حدق بعيونها وقال:

«سنتكلم بهذا الموضوع لاحقاً. لقد مررت بالكافي من المعاناة حتى الآن. يجب ان آخذك الى المنزل حالاً».

رفعها فوراً بعد هذا ووضعها على ظهر الحصان ثم اعتلى هو السرج وأحاطها بذراعه والصقها بصدره وانطلق.

أغمضت لوتشيانا عيونها مستمتعة بهذه السعادة وأرجأت التفكير بأمر اطلاعه على الحقيقة الى وقت آخر.

«هل احتجزاك الحقيران مقابل الحصول على الفدية مني؟».

«لا، لقد جعلاني أوقع على شيكات كانت بحوزتهم وباسمي».

«يا لهما من شقيين كان بإمكاني جرهما الى السجن لكنني وجدتهما لا يستحقان هذا العناء انهما على كل حال سيجران انفسهما الى الشنق من جراء أعمالهم هذه» صمت قليلاً ثم تابع:

«مع انهم تصرفوا بغباء فلو طلبوا مني مئة ألف لكنت أعطيتهم المبلغ وأكثر مقابل سلامتك».

تصلبت ذراعه حولها ورفعت لوتشيانا وجهها اليه بحب وأحست أكثر بالذنب لإخفائها الحقيقة عنه وارتعشت لذلك.

«هل تشعرين بالبرد؟».

«لا... لكني... سعيدة بالعودة» قالت بعد ان دخلا حديقة القصر.

«بنفس سعادتي بالحصول عليك» قال بصوت منخفض.

هرع الجميع نحوهم واستقبلوهما بالتهليل.

حملها المركيز الى غرفة نومها وقال:

«نامي الآن وارتاحي وسأراك لاحقاً اعتني بها ماريا جيداً ودعيها تأكل وتنام حتى تستعيد عافيتها».

«أجل، سيدي، بالطبع» أجابت السيدة ماريا:

«وأحمد الله ان الآنسة قد عادت بسلام».

حدق كارلو بلوتشيانا للحظات وهي غارقة بين الوسائد البيضاء بنظرة لن تنساها لوتشيانا أبداً، قبل ان يستدير ويغادر الغرفة بتردد واضح.

أرادت لوتشيانا ان تناديه وتطلب منه البقاء معها لكن الخجل والتعقل أبقياها صامتة.

نامت لوتشيانا وأكلت ثم نامت مجدداً. لكن بعد الغداء صباح اليوم الثاني أصرت على النزول الى الطابق السفلي.

«لقد طلب المركيز الا تنزلي الا بعد تحسنك الكامل» اعترضت ماريا.

«حسناً» ردت لوتشيانا.

كان الصراع داخل لوتشيانا كبير جداً فولائها لنارسيسكا ووعدها لها بعدم كشف الحقيقة الا بعد ان تتزوج الأخيرة من جيوفاني كان يمنعها من الاعتراف للمركيز بالرغم من شعورها بضرورة وواجب كشف كل شيء للمركيز الذي أصبح كل حياتها.

صباح اليوم التالي استيقظت لوتشيانا وحدسها ينبؤها بحدوث أمر هام، القلق كان يتزايد داخلها فصحتها قد تحسنت وعليها آجلاً أم عاجلاً مواجهة المركيز بالحقيقة التي لن يعد بإمكانها اخفائها. سارعت ماريا اليها وهي لا تزال في السرير وعلى وجهها تباشير الفرح وقالت:

«سيدتي اليك هذه الرسالة التي وصلت هذا الصباح لا أعرف من المرسل لكني استبشر خيراً بكل رسالة تصل الى القصر».

تناولت لوتشيانا الرسالة وقلبها ينتفض بشدة وحالما غادرت ماريا الغرفة مزقت لوتشيانا الغلاف وقرأت:

«صديقتي وأختي العزيزة لوتشيانا.

لو تعرفي كم أنا مشتاقة لك وكم أنا سعيدة وأعيش أجمل أيام حياتي والشكر لك انت يا عزيزتي. لقد تزوجت وجيوفاني الاسبوع الفائت بعد حصوله على الطلاق أخيراً من زوجته. وأنا كل لحظة تمر تشعرني بالامتنان الأكبر لك لمعروفك الذي غير كل حياتي. لقد أصبحت الآن يا

عزيزتي في حل من وعدك لي وصار بإمكانك العودة على جناح السرعة. كما وعدتك جيوفاني وأنا سنتكفل بك وبوالدتك من الآن فصاعداً. وهو مشتاق لك بدوره.

والدتك بأحسن صحة وعافية وقد اختفى كل أثر للمرض منها وعاد وجهها للإشراق تماماً كما السابق.

قبلاتي واشتياقي الخاص لك ونحن بانتظارك على أحر من الجمر.

أختك المشتاقة

نارسيسكا فلوتشيانو

الدموع تساقطت على وجنتي لوتشيانا من الفرح وتنهدت بعمق وقد شعرت ان عبئاً ثقيلاً قد انزاح عن كاهلها فقد أصبح بإمكانها الآن اطلاع المركيز على الحقيقة دون ان يؤثر هذا على سعادة نارسيسكا وحياتها.

قبل الغداء نزلت لوتشيانا بعد ان اغتسلت وارتدت ثوباً أبيض اللون رائع وأرخت شعرها على كتفيها وسألت عن المركيز فوجدته في غرفة المكتب. فاتجهت الى هناك وقلبها يهرع قبلها لأنها أدركت انه اذا أرسلها المركيز بفورة غضبه بعيداً عن أولمبيك فإن هذا سيعني القضاء على آخر فرصة لها بالسعادة في حياتها كلها.

«أنا أحبه! أحبه! أحبه» كانت تتمتم لنفسها وهي تتجه الى الغرفة وتفتح بابها.

ظهرت الابتسامة على فمه فور رؤيته لها، وحالما التقت عيونهما فتح المركيز لها ذراعيه وركضت نحوهما بلهفة.

أحاطتها ذراعيه وأخذ يقبلها قبلات حارة ومتطلبة كأنه كان يعاني الكثير من جراء ابتعادها عنه ليومين.

«أحبك» قال بصوت هامس تخنقه العاطفة:

www.elromancia.com

«الآن أخبريني مجدداً بما قلته صباح ذلك اليوم».

«أنا... أحبك!» قالت:

«كيف كان... بإمكاني عدم الوقوع بحبك؟».

«لا رغبة لدي أبداً بأن تكوني قادرة على هذا». قال ثم عاد لتقبيلها مجدداً.

وحين شعرت لوتشيانا انها لم تعد تحتمل أكثر انتزعت شفاهها من فمه والنيران تتأجج داخلها وقالت بهمس:

«كارلو... يجب... ان نتحدث؟».

نظر اليها باستغراب وقال:

«حول ماذا يا حبيبتي؟».

ابتعدت عنه بتردد قبل ان تتناول الرسالة من طيات ثوبها وتعطيها له بصمت.

الدهشة ازدادت وكذلك الحيرة عند المركيز الذي تناول الرسالة منها تبعاً لرغبتها.

«أرجوك... اقرأها».

فتحها المركيز وأخذ يقرأها وملامحه تعكس حيرته وذهوله، حين انتهى من هذا قال:

«أنا... أنا لا أفهم... نارسيسكا هي المرسلة وأنت هنا... نارسـ... لوتشيانا؟ من انت حقاً؟».

أخذت لوتشيانا ترتجف وقالت دون ان تنظر الى وجه المركيز:

«سامحني... أرجوك سامحني... كنت أود اطلاعك على الحقيقة... لكن... كان علي... أولاً استلام رسالة نارسيسكا...».

«اذا لم تكوني نارسيسكا ابنة عمي؟ فمن انت اذن؟».

سألها المركيز ونبرة الغضب تلون صوته.

«أنا... أنا صديقتها... لوتشيانا كابرو».

اتكأ المركيز على الطاولة وأشعل سيجارة.

بما انه ظل صامتاً فقد تابعت لوتشيانا:

«أنا آسفة... آسفة جداً... جداً... لكن كانت... نارسيسكا... مغرمة باللورد جيوفاني... وكانت كذلك... لسنوات».

«وما الذي حصل؟» سألها.

«لم تستطع الزواج به... قبل حصوله على الطلاق من زوجته... وكانت حياتهما معاً تعيسة جداً» مع انها لم تكن تنظر اليه الا انها شعرت انه كان مقطباً فتابعت بسرعة:

«لقد... لقد وافقت على المجيء الى هنا... لأن هذا... كان الأمل الوحيد... لسعادة نارسيسكا مع... جيوفاني و... هي لم... ترغب بإطلاع جيوفاني على ثروتها».

«ولم لا؟».

«أدركت نارسيسكا... انه اذا عرف بأمر... ثروتها فقد يمتنع عن الزواج بها... لأنه... شديد الكبرياء و... الحساسية وكان سيرفض الزواج من... امرأة تفوقه ثراءاً».

«اذن كانت تكذب على زوجها المستقبلي كما كنت انت تكذبين علي؟» سألها بحدة.

«أأعرف... ان هذا... يبدو مريعاً و... مقيتاً» قالت وقلبها يعتصر:

«لكنها كانت... أكاذيب بيضاء ودافعها هو... الحب».

أخذت نفساً عميقاً قبل ان تتابع:

«أعرف انك تعتقد... ان الكذب والنفاق... من أبغض الأمور وأكثرها اشمئزازاً... لكن... الكذب في بعض الأحيان... يكون مبرراً... اذا استعمل لانقاذ شخص ما من العذاب والألم من جراء فقدانه... لحبيبه».

كانت تتحدث بيأس وتشعر كأنها تناضل من أجل كل ما هو مهم وحيوي لها.

ثم ولأنها اعتقدت انه لم يفهم أخذت الدموع تتدحرج على وجهها وشبكت يديها بشدة وقالت:

«أرجوك... أرجوك... قد لا تصدق هذا... لكني أحبك بكل ذرة في كياني... وروحي... واذا أرسلتني بعيداً عنك... فلن أستطيع... ولو عشت مئة سنة... من ان أحب أي رجل آخر... غيرك».

رفع المركيز ذقنها بأصبعه وحدق عميقاً داخل عيونها، ثم وفيما كانت لوتشيانا تنتظر بلهفة وتوتر بالغ كلماته ابتسم لها. ابتسامته كانت كشروق الشمس كنور الفجر كوهج البدر.

«اذن فأنت تحبينني» قال:

«وبما انني أحبك بدوري فماذا علينا ان نفعل بهذا الخصوص برأيك... لوتشيانا؟».

فكرت ان طريقة لفظه لاسمها تفوق أعذب وأجمل الألحان التي سمعتها في حياتها.

ولأنها لم تعد قادرة على المقاومة فقد أحاطت رقبته بذراعيها وأحاطها هو بذراعيه وغرقا معاً بقبلة طويلة طويلة أغرقتهما في لجج العاطفة الجياشة ومحت كل سوء تفاهم كان بينهما.

«أنا أحبك» قال:

«وبما انك لست نارسيسكا ابنة عمي فهذا في الواقع يسهل الأمور أكثر».

«هل... تعني هذا... هل تعنيه... حقاً؟».

«بالطبع».

وشدها الى أحضانه مجدداً وهوى بفمه على شفتيها.

«هل عندك أية فكرة يا حبيبتي المخادعة عن الطريقة التي تمكننا من الخروج من هذه الفوضى دون التسبب بفضيحة؟».

رفعت نظرها اليه باستفسار فشرح:

«انت هنا معي بدون مرافقة والأقرباء الذين قابلتهم سيعتبرون مسألة زواجك المفاجيء مني أمراً غريباً حين يعرفون ان الاسم في ورقة الزواج هو لوتشيانا كابرو»

«لربما... علي الرحيل... بعد كل شيء».

ضحك المركيز وشد ذراعيه حولها:

«وهل تعتقدين انني سأدعك تفعلين؟ لن تهربي مني أبداً يا حبيبتي والأكثر من هذا انت لن تخدعيني او تكذبي علي بعد الآن. سأتأكد من ذلك بنفسي».

«لا نية عندي مطلقاً لفعل هذا... كيف بإمكاني خداعك... فيما أنا أحبك بعمق وقوة هكذا؟».

«سأعمل جاهداً على الا أعطيك الفرصة لذلك وبنفس الوقت أعتقد ان علينا سوياً نشر بعض الأكاذيب البيضاء كما أسميتها».

قبلها على جبينها وقال:

«يجب ان نفكر بطريقة لإخفاء ملابسات هذا الأمر عن أقاربنا أقصد أقاربي الأعزاء، هل تشبهين نارسيسكا ابنة

عمي؟».

«أجل وكثيراً في الواقع الفرق بيننا هو بلون العينين فقط ولكن كل شيء آخر متطابق تماماً وهذا ما أقنع نارسيسكا بنجاح مهمة تظاهري بأنها هي».

«آه هذه مشكلة سنتجاهلها وندع الآخرين يفكرون بها على ذوقهم الآن اسمعي ما هي الخطة التي سنقوم بها للتمويه».

حركت لوتشيانا رأسها وانتبهت لما سيقول وقد اكتنفتها الاثارة.

«سأسافر أنا وأنت الى سويسرا حيث تتواجد الآن ابنة عمي نارسيسكا وزوجها ثم سنطلب منهما نشر صور وأخبار زواجهما في كل الصحف وصحف اليونان بالذات، لقد أخبرتني للتو ان نارسيسكا تشبهك وبالصورة السوداء والبيضاء لن يظهر لون العيون وهكذا لن يشك أي أحد بأي شيء».

«وهل تعتقد انه حين نعود لن يكتشف الفلوتشيانو انني من كنت أدعي؟».

«مع الملابس الجديدية المختلفة التصميم وتسريحة الشعر المختلفة هذه لن يعرف أحد الأمر والناس يا حبيبتي يصدقون ما تريدينهم ان يصدقوه».

«لكن... لكن يجب ان تعرف انني... فقيرة ولا أملك فلساً واحداً وأيضاً عندي والدتي التي أعتني بها و...».

قبلها المركيز مسكتاً اياها ثم قال:

«عندي الكثير من المال ولست بحاجة لمالك أو لمال ابنة عمي نارسيسكا فإياك وفتح هذا الموضوع مجدداً

أسمعت؟».

أجراس الفرح دقت في ماغرولايا طوال النهار وظلت الموسيقى تصدح طوال الليل ففرح القرية كان بفرحين. فرح زواج نارسيسكا فلوتشيانو من اللورد جيوفاني وفرح زفاف لوتشيانا كابرو من المركيز كارلو. والدة لوتشيانا كانت أكثر الناس سعادة لرؤيتها لابنتها الوحيدة ولصديقتها العزيزة وهما يحتفلان بالسعادة والحب مع زوجين حبيبين. فقد تغاضت السيدة كابرو عن كذبة لوتشيانا البيضاء حول مدرسة الرسم التي كانت تدرس بها وسامحتها حين عرفت دافعها النبيل الذي دعاها لإخفاء الأمر عنها.

اشراق السعادة كان يلمع داخل عيون لوتشيانا وهي تجلس قرب كارلو فلوتشيانو الذي كان يحدق بها بكل لهفة وشوق.

«ستكونين ملكي الى الأبد ولن تتمكني من الهروب من بحر هواي» قالت لها عيونه.

فردت عيونها:

«ومن قال لك انني سأفكر ولو للحظة بمحاولة النجاة من بحرك هذا، منيتي ان أغرق به وأن أبقى بأعماقه حتى آخر لحظة في حياتي».

«وهذا ما سيكون يا ساحرتي الشقية» قال لها بصوت هامس هذه المرة قبل ان يغيبها معه بقبلة طويلة طويلة صفق لها كل الحاضرين.